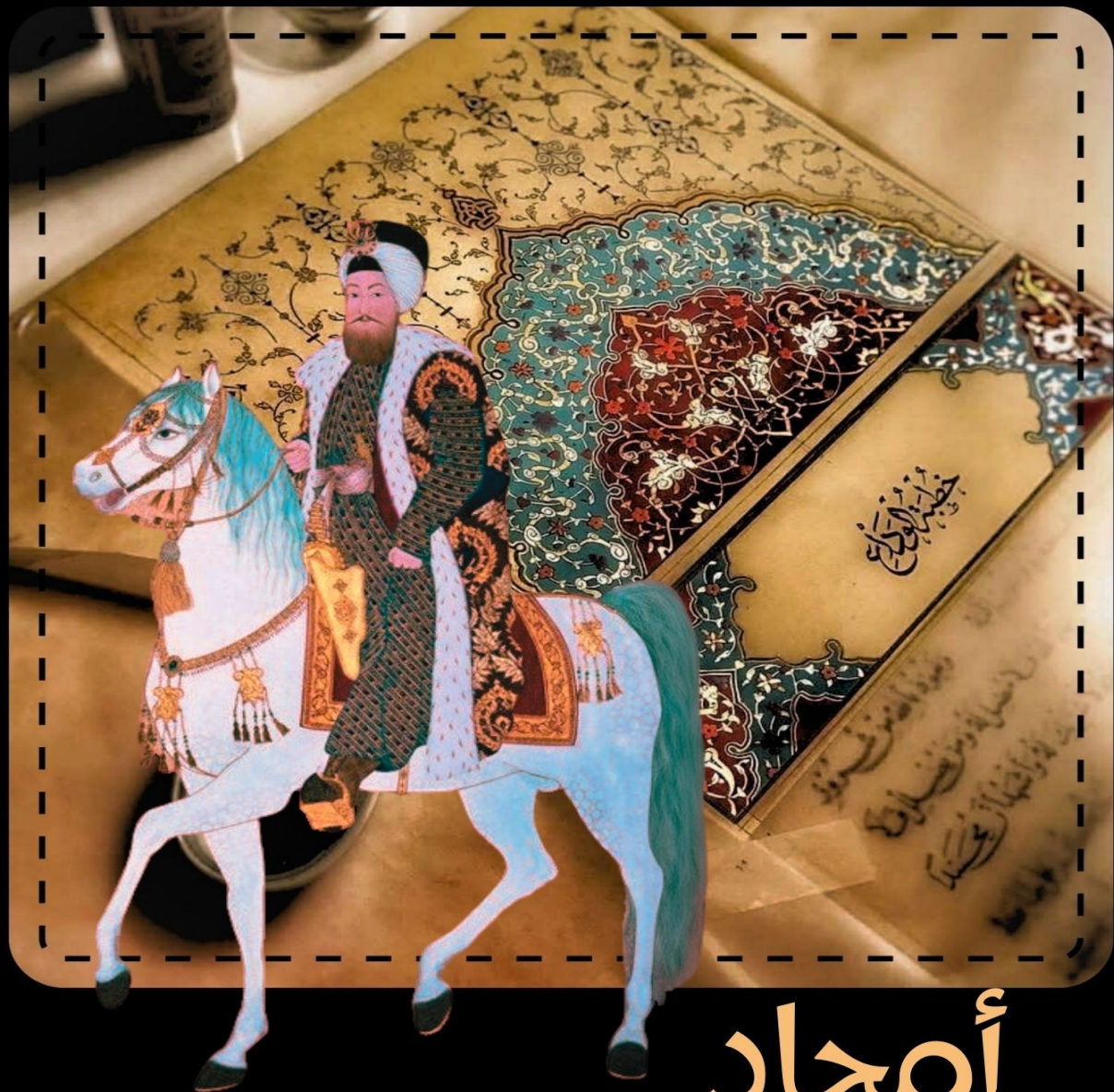


دكتور عصام بن علي بن أحمد



أمجاد
الملك الظاهر
رکن الدین بیبرس

عصام بن علي بن أحمد

أمجاد الملك الظاهر

ركن الدين بيبرس البندقداري



نور العلم للتراث المملوكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُخْرِجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، الصَّادِقُ الْأَمِينُ الْمُبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ...

فهذا قليل من فيض وجل من كل ، ونقاط مضيئة من أمجاد الملك الظاهر ، الملك المجاهد ، ناصر الدين ونصرة الإسلام ، عدة الملك وعمدة الممالك ، كهف الجيوش وقائد العساكر ، خادم الحرمين الشريفين ، قسيم أمير المؤمنين ، السلطان **الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتوح الصالح النجمي بيبرس البندقداري** .

كان **بيبرس** عبدا مملوكا **قفجاقيا** الأصل ، طويل القامة أسمر اللون ، في عينيه زرقة وباحدى عينيه نقطة صغيرة ، صوته جهوريا .
انتقل من تاجر لآخر حتى وصل إلى **حماة** ببلاد الشام فأراد **المنصور محمد الأيوبي** صاحب حماة شرائه ولكن أمه حذرت منه : " لا يكون بينك وبينه معاملة فإن شرا في عينه لائحا " ، فعذل **المنصور** عن شرائه وبيع بدمشق بثمائمائة درهم ، فرده مشترى لبياض في إحدى عينيه ، فاشتراه الأمير **علاء الدين أيديكن البندقدار** ⁽¹⁾ مملوك الملك **الصالح أيوب** ، وهو بحماة معتقل

(1) البندق كتل من الطين تكون كالبنديق ثم تجفف بالشمس او النار وتوضع وسط وتر القوس ثم تشد مع

بها ، وأقام في خدمته مدة ثم أخذه منه **الملك الصالح** فترقي ، وتنقلت به الأحوال إلى أن ملك مصر والشام فكان مثالا مجسدا للرجل العصامي الذي صنع مجده بنفسه .

لقد كان رجلا متدينا متمسكا بأهداب الدين وبأمره ونواهييه ، حارب البدع والمفاسد وتشدد في تطبيق أحكام الشريعة فحرم شرب الخمر واغلق الحانات ، كان ملازما للصلوات وألزم حاشيته بها ، يمتد سلطانه من النيل إلى الفرات ومن تخوم أسيا إلى سواكن البحر الأحمر ، بل بات أعظم السلاطين الذين تبوءوا عرش مصر .

كانت دولة المماليك قبله منهكة ولكن الدولة التي تركها دولة تتيه فخرا بجيشها القوي وبحدودها الآمنة وبعلاقتها الطيبة مع الدول الأجنبية ، لقد ترك أيضا لخلفائه ما هو أكثر من ذلك لقد ترك لهم نموذجا يقومون بالافتداء به .

رحمه **الله** له اياما بيضاء في الإسلام ومواقف مشهودة وفتوحات مشهورة سرىا غازيا مجاهدا مؤيدا عظيم الهيبة خليقا بالملك يضرب بشجاعته المثل.

عصام بن علي بن أحمد المملكة العربية السعودية

الوتر وترمى إلى مكان بعيد بدل النبل والبندقار
مسئول البندق وربما أطلق على حامل كيس البندق خلف
السلطان .

وكحاكم كان من أعظم حكام زمانة .

[رانسيما - الحملات الصليبية QMN/P]

كان يحكم من فوق فرس الجهاد أكثر منه من القصر .

[فرسان الإسلام 249 - جيمس و اترسون]

بطل همام وشجاع مقدم قويت بقوته البلاد ورفع أكاليل الغار فوق
العباد

[خليل - الممالك المفترى عليهم]

سريا غازيا مجاهدا مؤيدا عظيم الهيبة خليقا بالملك يضرب
بشجاعته المثل له أيام بيض في الإسلام وفتوحات مشهورة .

[الذهبي - العبر في اخبار من غبر 308/5]

صنع مجده بنفسه ملء العين والوجدان ، وفي النهاية أصبح
مملوك الأمس نبيلًا ومملوكًا عظيمًا اليوم .

[وليم موير - تاريخ دولة المماليك 59]

ولما حج رؤي بباب الكعبة محرما يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية لينهضوا
ووضع ستائر الديباج للكعبة وللحجرة النبوية .

[ابن الوردي - تاريخ ابن الوردي 322/2]

شهما شجاعا عالي الهمة بعيد الغور مقداما ، معتنيا بأمر السلطنة يشفق على الإسلام ، متحليا بالملك ، له قصد صالح في نصره الإسلام وأهله واقامة شعائر الملك . مناجز لأعداء الإسلام وأهله ، ولم شعثه واجتماع شمله . وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد قصورها وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين ، وهو الذي اقام من كل مذهب قاضيا مستقلا وقاضي قضاة ، وكان رحمه الله متيقظا شهما لا يفتر عن اعدائه ليلا ونهارا . وبالجملة اقامة الله في هذا الوقت المتأخر عونا ونصرا للإسلام وأهله وشجا في حلق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين وابطل الخمر ونفى الفساق من البلاد وكان لا يرى شيئا من الفساد الا سعى في ازالته بجهد وطاقته .

[ابن كثير - البداية والنهاية 275/13]

ملكا شجاعا مقداما غازيا مجاهدا مرابطا خليقا بالملك خفيف الوطأ سريع الحركة يباشر الحروب بنفسه ، يحب ان يطلع على احوال امرائه واعيان دولته حتى لم يخف عليه من احوالهم شيء وكان يميل إلى التاريخ واهله ميلا زائدا ويقول سماع التاريخ اعظم التجارب .

[ابن تغري بردي - النجوم 177/7]

ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل الذي بلغ أشدها واذا انفتحت ثغرة من سور الإسلام سدها وكلما انحلت عقدة من عرى العزائم شدها وكلما راقت فرقة مارقة من طوائف الضغام ان تلج حومة الإسلام صدها وردها فسامحه **الله** وبـل بالرحمة ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

[ابن كثير - البداية و النهاية 275/13]

اشتهرت سيرته في مجالسهم ومسامراتهم دون سائر السلاطين فصاغ الوجدان الشعبي سيرة رائعة لهذا **السلطان** . لقد صور الوجدان الشعبي في هذه السيرة الشعبية الظاهر كأنه عصر- بأكمله وليس مجرد انسان . وهكذا الشعوب تمنح حبها وتمجيدها بلا حدود لمن اعطى وبذل في سبيل تحقيق أهدافها ومصالحها .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 113]

ليس بعجب ان يكون هذا الرجل محبوبا لدى الشعب الذي اتخذه مثالا للملك الذي تحل فيه صفات الكرم والشهامة والذي لا يزال يصغى بشغف تام إلى القصص التي تروى في مقاهي القاهرة عن بيبرس وحتى رجال الدين كانوا يعجبون به ويرون فيه ملكا يرعى الاصول الدينية ويعادل بين المذاهب الأربعة المختلفة التي جعل لكل منها قاضيا خاصا بها .

[ستان لين بول - سيرة القاهرة 181]

وبالجمله فقد كان من خير ملوك الإسلام .

[المقريزي - السلوك 1/637]

تحت قيادة سلطانهم **الاعظم بيبرس** شنو هجماتهم
الباسلة على قلاع الصليبيين حتى تلك التي استعصت على
حروب صلاح الدين

برز **بيبرس** كواحد من عباقرة القادة العسكريين في العصور
الوسطى شديد القسوة متوقد الذكاء سواء في الشؤون
العسكرية او السياسية خاض العديد من الحروب وفي
جبهات متعددة ضد مغول فارس وارمينيا والدول
الصليبية والنوبة .

كما كان دبلوماسيا حاذقا يتواصل مع بيزنطة ومع القبيلة
الذهبية وصقلية واسبانيا ، ويشق الترع وتحسين الموانئ ، كما
حذا حذوا المغول في ادخال خدمات البريد عن طريق رجل
البريد الفارس و الحمام الزاجل الذي يمكنه توصيل الرسائل عبر
ممالكه في ثلاثة ايام.

كما كان يملك من رجاحة العقل ما جعله يبادر إلى إضفاء
الشرعية على سلالته عن طريق تأسيس دار الخلافة في القاهرة
و إعادة تأسيس القيادة الدينية بعد تدمير بغداد على يد المغول
[فرسان الإسلام - جيمس واترسون]

الفصل الأول : المماليك الترك

من الرق إلى سدة الحكم



المماليك الترك [من الرق إلى سدة الحكم] :

رق أي صار في رق أو استرقه فهو مرقوق ومرق ورقيق ، وجمع كلمة رقيق أرقاء ولفظة الرقيق من الألفاظ التي تطلق على الشخص الواحد أو المجموعة فالعبد رقيق والعبيد رقيق ، وأسترقاق العبد أي تملكه وجعله عبدا لسبب من أسباب الاسترقاق وبالتالي فإن هذا الشخص يحرم من حريته ويكون ملكا لغيره .



لقد عرف الرق بين البشر منذ أزمنة قديمة ، فقد وجد عند المصريين القدماء والصينيين والهنود واليونانيين والرومان والآشوريين والبابليين واليهود والنصارى والعرب قبل الإسلام .
لقد عُدَّ الأسترقاق بمثابة تقدم في نوع العلاقات الإنسانية والإجتماعية وهو بمثابة بديل عن قتل الإنسان لأخيه الإنسان أو أكله كما كانت تفعل الشعوب السحيقة في القدم وهذا أكتفي فقط بالرق .

[قصة الحضارة ديورانت 37/1]

ولَّت الحضارات القديمة وخبأ كل ضياء ، ظَلَّت الدنيا بعد وفاة المسيح عليه السلام تتخبط ولا هاد ، تنكب رفيع القيم ولا مقوم ، تتدلى في خلقها إلى الحضيض ، تنحدر إنسانيتها حتى تدنت في وهاء الهمجية الفاحشة ،

إنه البلاء الذي لا فكاك منه ولا خلاص ، راح كلّ يلتمس منجاة من شرور الدنيا وأثامها بالفرار منها ويبحث عن الهداية حيث يوجهة فكره أو ترشده سجيته ، راح رجل بمكة متوقد الفكر مرهف الحس يقرب وجهه في السماء يريد إلها يعبده وربا يقدم له الطاعة ويبذل له خلاصة روحه المتأججة ، ظل يعاود الغار سنة بعد أخرى ويطيل فيه التحنث ساعة بعد ساعة ويوما في إثر يوم إلى أن هبط عليه ذلك الذي غطه وقال له أقرأ ، لم يزل حتى قرأ ، لقد قرأ شيئا عجبا ما وعته الدنيا حتى أهتزت له جنباتها وتسامعت به أرجائها وتغيرت له معاملها في حاضرها ومستأنف أيامها ، كشفت عنها ما غشاها وأنفتحت منها الأعين على اليقين وأطبقت .

تلك عقيدة الإسلام منحة السماء هبة العناية الربانية إلى **محمد رسول الله** صلى الله عليه وسلم .

[عبد العزيز توفيق _ مقدمة حضارة الإسلام]

جاء الإسلام فأشاع بين الناس العدل وثمن مبدأ المساواة ، بل وجعل عنوان المفاضلة " **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** " .

بلغ ذلك **نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم** لأمته حين قال : " يا أيها الناس إن ربكم عز وجل واحد وإن أباكم واحد ألا وإن لا فضل لعربي على أعجمي ولا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى " .

أعلى الدين العظيم من قيمة **خبّاب وبلال وسلمان وأنس وزيد بن حارثة** .

رغب في العتق وجعله عملا مقدّسا : " **من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة** " ، " **من أعتق رقبة مسلمة ، أعتق الله بكل عضو عضوا من النار** " .

سار التشريع الإسلامي في هذا المجال إلى أبعد الحدود فجعل هزل العتق جدا " **من قتل عبدا قتلناه** " ، " **من لكم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه** " ، بل وحررت الأمة بطفلها التي تلده فالمولود في الإسلام يولد حرا .

ولو أستمريت أحوال المسلمين طبقا لما شرعه الإسلام في هذا المجال لصفي الرق في وقت مبكر من تاريخ الانسانية .

لقد حض الإسلام كثيرا على رفع قيمة الإنسان وحفظ حقوقه ودائما أبدا ما كان يرفع من شأن الرقيق ولكن ، نتيجة اشتداد المعارك بين العرب والروم

والفرس فيما بعد كان هناك أسرى حرب فأصبح هناك أسترقاق لهم وهو نظام متبع في حروب تلك الأمم وعلى أساس المعاملة بالمثل فقد أوجده الإسلام فمن الضرر أن يسترق أسرى المسلمين ويطلق أسرى الأعداء الكفار فقضت الحاجة لذلك.

" ولكن عبيد الملة الغراء صاروا أسيادا وملوكا "



دارت الأيام وحلت لفظة المماليك محل كلمة العبيد في أرض الإسلام ،
والمماليك جمع لكلمة مملوك والمملوك هو العبد الذي لا يملك أبواه حيث

أن المملوك يولد لأبوين حرين ، والمملوك غالبا ما يكون أبيض ، والمملوك هو عبد مالكة وسموا رقيقاً لأنهم يرقوا لمالكهم ويدلون ويخضعون .

[ابن منظور لسان العرب 124/10]

في بادئ الأمر كان مصدرهم مقتصر على سبايا الحروب وأسراها ولكن سرعان ما شمل الأمر أسواق النخاسة التي عجت بكثير منهم ، والرقيق الترك هم أول من أستخدموا في الجندية في الإسلام .

يذكر **الطبري أن نصر بن سيار** والي الأمويين على خراسان أشتري ألف مملوك من الترك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل .

[الصلابي - عين جالوت 5]

وورد أن **هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان** صاحب الأندلس كان أول من أستكثر من المماليك بالأندلس ، كما أن **الحكم بن هشام** أستكثر من المماليك أيضا وكان يسميهم الخرس لعجمتهم ، وقد بلغ عدد المماليك في الجيش داخل الأندلس في ذلك العهد ما يقارب من خمسة آلاف جندي مملوكي .

[ابن الأثير - الكامل 466/5]

واما عن سبب ضمهم إلى الجيش : فيرجع ذلك إلى حاجة المجتمعات آنذاك للجنود في الحروب لكون ذلك أكبر وأكثر من أن يستوعبه مجتمع واحد، وتكاليف الحروب الباهظة وعدد من يقتلون يجبر أي مجتمع للبحث عن بديل ومن هنا فإن المماليك كانوا جزءا من الحل المتاح وملاً للفراغ آنذاك لضرورة إقتضتها تلك الفترات من التاريخ الإسلامي وخاصة في أوقات الحروب والأزمات ، ليتم إستغلالهم في بناء جيش قوي فيه من الرجال ما يسد حاجة الجيش من العدد اللازم لخوض الحروب ، لذا فقد كان لابد للأنظمة العسكرية التعامل معها بما يحمي مصالح المسلمين.

[هاني فخري - النظام العسكري 22]

ويذكر أن في عهد حكام المسلمين الأوّل القاطنين في بغداد ، أتخذ **بني العباس** سنة جديدة ما سبقهم بها من أحد في بلاد العرب عندما قام الخليفة **المأمون** بجلب ألوف من الرقيق لاستخدامهم كفرق عسكرية

وحرسا ، تغالى المأمون في شرائهم حتى إنه كان يشتري الواحد منهم بمائتي ألف درهم .

[المسعودي - مروج الذهب 3/465]

كان **المأمون** قد إتخذ من **خراسان** مقراً له وإستعان **بالفرس** في صراعه مع أخيه **الأمين** إلا أنهم لم يخلصوا له مما جعله يبحث عن قوة جديدة تقف في وجه **الفرس** ، فإتجه إلى **الترك** وأكثر من شرائهم .

[ابن الأثير - الكامل 10/426]

ثم سرعان ما سيطر الجنس التركي المجلوب من بلاد القفجاق وسمرقند وفرغانة وبلاد السند وأصبح لهم الأغلبية وسط هؤلاء في عهد الخليفة **العباسي المعتصم** .

وكان **المعتصم** متأثراً بأمة التركية ، فأخذ يرسل في شرائهم من نواصي سمرقند وفرغانة ثم يلبسهم أحسن الملابس وأثمنها .

[السيوطي - حسن المحاضرة 223]

أتخذ من حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم وتمسكهم بأهداب الدين سببا للإعتماد عليهم فولاهم حراسة قصره وأسند إليهم المناصب وقلدهم الولايات الكبيرة وأدر عليهم الهبات والارزاق وآثرهم على سواهم في كل شيء ، حتى بلغ عدتهم ما يقارب **الثمانية عشر ألف مملوك** .

[ابن تغري بردي - النجوم 2/233]

جاء الأتراك عاصمة الخلافة بصفاتهم البدوية من خشونة في الطبع وبدانة في الحياة حتى إنعكس ذلك وبدى جليا في معاملتهم مع الناس فأذوهم وضايقوهم ، فكرههم أهل **بغداد** بل وبلغ الضيق منتهاه فشكواهم إلى الخليفة وهددوه بالدعاء عليه في صلاتهم .

أضطر **المعتصم** إلى إخراجهم من المدينة وإنزالهم أخرى أنشئت خصيصا لهم سميت وقتذاك بـ "**سامراء**" .

منذ ذلك الحين ولفظة المماليك يقصد بها عند المسلمين : تلك الفئة من الرقيق الذين يشتريهم الأمراء والملوك من أسواق النخاسة لإستخدامهم كفرق عسكرية.

[سهيل طقوش - تاريخ المماليك في مصر والشام 15]

ومنذ ذلك الحين والحرس **التركي** يمثل دعامة هامة من دعائم الخلافة نظرا لقدرتهم القتالية العالية وقوة البنيان وتميزهم في الفروسية والقتال حتى أصبح الأتراك عنصرا هاما في المجتمع الإسلامي ، ومع مرور الوقت أستفحل أمرهم وتبدلت بهم الأحوال وصار المملوك أميرا وصاحب **سلطان** ومن كان بالأمس عبدا صار صاحب الأمر والنهي.

وفي دولة **سلاجقة الروم** ولي **المماليك** شؤون تربية أبناء سلاطينهم حتى سموا **بالأتابكة** ولكن سرعان ما أصابهم ما أصاب من قبلهم وأشد نفوذ هؤلاء **الأتابكة** وقوي ساعدهم فأنتهزوا ضعف دولة **السلاجقة** وأستقلوا بإقطاعاتهم مكونين دول منفصلة .

وفي أم البلاد بدأت قصة المماليك فيها عندما أرسل الخليفة العباسي **المهدي** مملوكه "**يحيى بن داود الخراسي** 162 هـ - 778 م ، ليكون أول مملوك تركي يشغل هذا المنصب في أرض المحروسة .

[ابن تغري بردي - النجوم 44/2]

ظل هذا هو كل حدود **المماليك** في مصر حتى جاء والي العباسيين "**أحمد بن طولون**" ⁽²⁾ وراوده حلم الاستقلال بحكم البلاد .

عمل الحاكم التركي منذ بداية أمره على تكوين جيش عظيم تكون الغلبة فيه لبني جنسه ، وسرعان ما نال مراده ، ثم كون جيشه من قرابة الأربعة وعشرون ألف من الأتراك وقليل من الجند الديلمي . منذ ذلك الحين وأضحى جند مصر من المماليك الترك .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك - تاريخ المماليك 19]

وكما كان **لابن طولون** سبق في ذلك كان له أيضا سبق حين قام بتحرير أعداد كثيرة من جنده وجعله جيشه الخاص .

(2) والي العباسيين على مصر قبل ان يستقل بحكمها وكان عادلا شجاعا جوادا متواضعا حسن السيرة ويحب اهل العلم حفظ القرآن واتفقه وكان من اطيب الناس صوتا بالقراءة وبنى الجامع المشهور .

وعلى غرار أماني **إبن طولون** وأفعاله سار " **محمد بن طغج** " مؤسس دولة الاخشيد في مصر فسلك نهجه في حلم الإستقلال وتكوين الجيوش حتى قيل إن المملوك الملك كان ينام في حراسة الألف مملوك من جملة ثمانية آلاف هم قوام جنده ، كان أغلبهم من المماليك الترك .

وكالذين من قبلهم سلك **العبيدين** في **مصر** حذوهما في تكوين الجيوش ، لقد كان الجيش الفاطمي في زمن **المعز لدين الله** ⁽³⁾ أكثره من الترك إضافة لعناصر أخرى من بربر وسودان وصقالبة ، بل صار على منواله من خلفوه ، حتى جاءت عهود المستنصر ومن تبعه فخالفوهم وقاموا بإيثار شراء المماليك السود على أقرانهم الأتراك .

لقد أهتم الفاطميون بتربية صغار مماليكهم وفق نظام خاص بل هم أول من وضع نظاما منهجيا في تربية المماليك في مصر .

[العبادي - الاداب السلطانية 69]

وفي أواخر عهد **الفاطميين** وتحديدًا في عام 559 هـ - 1164 م ، تعرضت البلاد للطمع من قبل **عموري** حاكم مملكة بيت المقدس ، وإزاء ذلك الخطر الصليبي المفجع بعث الخليفة الفاطمي " **العاقد** " ⁽⁴⁾ إلى " **نور الدين زنكي** " ⁽⁵⁾ قائد أتابكيات الموصل وحلب وديار ربيعة ، فبعث إليه بخصلة من شعر زوجته يستنصره : " **أدركني وأستنقذ نسائي من أيدي الفرنجة** " .

(3) أول من حكم مصر من الفاطميين دخلها بعد موت كافور الاخشيدي ودخل عسكره بقيادة عبده جوهر الصقلي وكان عالما فاضلا جوادا جاريا على منهاج أبيه حسن السيرة .

(4) آخر حكام الفاطميين في مصر وعليه انقطع امرهم وانحل عقدهم .

(5) كان ملكا عادلا مجاهدا خيرا فتح الفتوحات واتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن ومصر وخطب له في الدنيا على جميع منابر الاسلام .

أستجاب القائد السني لإستغاثته وأرسل قائده **أسد الدين شيركوه** ⁽⁶⁾ لنجده .

نال **نور الدين** ما تمناه وهزم الصليبيين بفضل **الله** ثم بمساعدة المماليك بفرقتها النورية والأسدية .

بعد النصر عُيّن **شيركوه** وزيرا **للعاضد** في ديار مصر- ولكن سرعان ما عاجلته المنية فخلفه ابن أخيه "**صلاح الدين يوسف ابن أيوب**" ⁽⁷⁾ في الوزارة .

كان **صلاح الدين** سنيا شافعيًا يتبع سيده **نور الدين** الذي كان يدين بالتبعية للخلافة العباسية السنية في بغداد ، وفي الوقت ذاته كان على **صلاح الدين** أن يقوم بمهام الوزارة للخليفة الشيعي رغم ما كان بينهما من عدااء دفين مما أدى إلى كثرة الثورات التي كانت تحاك ضده ، ولكن **صلاح الدين** صمد لهم وتغلب عليهم وتحبب إلى الناس وخفف عنهم المكوس فمالوا اليه وأحبوه ، سرعان ما أشد نفوذ **الناصر** وقوي ساعده مستغلا موت **العاضد** ومنتهاز الضعف الذي دب في أوصال الدولة فعمل على القضاء على عسكر الفاطميين ، ثم راح يحو آثار معالم دولتهم ، هنالك نجح **الناصر** في إسقاط الدولة العبيدية وقطع خطبتهم وأقام الخطبة على

(6) عم الناصر صلاح الدين ومقدم عساكر الملك نور الدين زنكي حتى صار كأنه شريكه له في المملكة .

(7) السلطان الاعظم والليث الهمام سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة والمشركين وقاهر المتمردين جامع كلمة الايمان وقامع عبدة الصلبان رافع علم العدل والاحسان خادم الحرمين الشريفين منقذ البيت المقدس من اهل الزيغ رحمه الله تعالى .

منابر المحروسة للخليفة العباسي **المستضيء بالله** ليبدأ عهد جديد **لمصر** تحت حكم **الأيوبيين** .

على غرار من سبقوه بدأ **الناصر** في تكوين جيشه الخاص فأنشأ جيش عماده **المماليك** الأتراك ، أشتراهم لنفسه وسماهم **بالناصرية** . كان **صلاح الدين** قد نَمى في أحضان دولة **السلاجقة** الأتراك فأقتدى بهديهم في كثير من العادات .

أقتدى بهم في تكوين الجيش واختيار جنس عناصره وأقتدى بهم في تربية مماليكه وفقا للنظام المملوكي الساماني الموضح في كتاب وزير الدولة الشهير بكتاب **" سياست نامه "** ⁽⁸⁾ ، وأقتدى بهم حين أتبع هدي **" نظام الملك "** ⁽⁹⁾ في إقطاع الاقطاعات على مماليكه .

كل هذه الامور أدت في النهاية لمساعدة **صلاح الدين** في توحيد المسلمين ولم شملهم ، وبفضل مماليكه الأسدية والصلاحية نجح في استرجاع **بيت المقدس** وبعض المدن الساحلية من أيدي **الصليبيين** .

مات **صلاح الدين** فخلف من بعده الأرض إرث **للأيوبيين** ولكن سرعان ما نشب الصراع بين أبناء البيت الأيوبي المكون من أبنائه وأخوته وأبناء أخوته وقامت بينهم الحروب وكثرت النزاعات .

أدت تلك الفوضى من الإكثار من قدوم المماليك إلى مصر بأعداد لم يسبق لها مثيل ، حيث حرص ملوك بني أيوب على شرائهم صغارا في سن الطفولة ثم يعهدون بهم إلى من يعلمهم اللغة العربية

(8) سياست نامه أو سير الملوك كتاب موضوعه نصح الملوك وسياسة الرعية .

(9) الوزير السلجوكي نظام الملك الطوسي اتصل بالسلطان إلب أرسلان، فاستوزره، فأحسن التدبير وبقي في خدمته عشر سنين. ومات إلب أرسلان فخلفه ولده ملك شاه، فصار الأمر كله لنظام الملك، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان من حسنات الدهر. الأعلام للزركلي

ويلقنهم مبادئ الدين الإسلامي ثم إلى من يتولى تدريبهم على فنون القتال والفروسية بحيث يحققون قدرا عاليا من الكفاءة الحربية وبحيث يضمن قدرا عاليا من الولاء الشخصي لسيدهم وبهذا يكونوا قوة وسندا لهم في الصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة الأيوبية .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 235]

كانت تلك الصراعات قد كثر شر نيرانها عندما دب الخلاف بين ابني **الناصر** فأستغل عمهما "**العادل**" ⁽¹⁰⁾ ذلك وحاول ضم **مصر** إليه ، ولكن كان **للمماليك** في تلك الحقبة التأثير القوي في مجرى الأحداث .
في البداية حال **المماليك الأسدية والناصرية** بين **العادل** وبين أمانيه وناصروا الملك "**الأفضل**" ⁽¹¹⁾ وسلموه مقاليد الأمور .

[المقريزي - السلوك 146/1]

لم يدم الأمر كثيرا وأشتد النزاع بين الفرقتين فأستغله الملك **العادل** وأصبح سلطانا على مصر " 597 هـ - 1200 م " .

(10) كان صلاح الدين ينيب أخاه العادل في حال غيبته في الشام على مصر. كما ولاه حلب بين عامي 1183-1186، وبعد وفاة صلاح الدين (1193م) وتنازع بنيه فيما بينهم، آل إليه حكم مصر عام 596هـ/1200م، ثم ضم حلب عام (598هـ)، فاليمن عام 612 هـ. ثم قسّم ملكه بين أولاده، فأعطى الكامل مصر، وقسم الشام بين المعظم والأشرف، والأوحد ميفارقين.

(11) الأفضل ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أكبر أولاد صلاح الدين وإليه كانت ولاية عهده ثم إن الملك الأفضل جرت له مع أخيه وقائع يطول شرحها. ثم إن الملك العادل سيطر على الديار المصرية وأخذها، ودفع للملك الأفضل عدة بلاد بالمشرق، فمضى إليها، فلم يحصل له سوى سميّاس فأقام بها ، ولم يزل بها إلى أن مات.

توفي العادل فعهد بولاية العهد لابنه " **الكامل** " ⁽¹²⁾ ولكن من جديد علا صوت المماليك العادلية وتحيزت إلى أخيه " **المعظم عيسى** " ، غير أن **الكامل** تمكن من الوصول إلى الحكم وطاردهم وصادر أموالهم .

[المقرئزي - السلوك 223/1]

ثم توفي **الكامل** . في البداية بايع الأمراء ابنه " **العادل الثاني** " ⁽¹³⁾ على أن يكون لأخيه " **الصالح نجم الدين أيوب** " ⁽¹⁴⁾ ممالك الشرق ، فكان هذا نذير لبدء الصراع بين الأخوة وباقي أفراد البيت **الأيوبي** .

(12) خامس سلاطين الدولة الأيوبية حكم من 1218م إلى 1238م . تنازل عن بيت المقدس للصليبيين . كان عارفا بالأدب والشعر ، وسمع الحديث ورواه . ولاه أبوه الديار المصرية سنة 615 هـ ، وحسنت سياسته فيها ، واتجه إلى توسيع نطاق ملكه فاستولى على حران ، والرها ، وسروج ، والرقه ، وآمد ثم امتلك الديار الشامية . له مواقف مشهورة في الجهاد بدمياط ضد الإفرنج ، وكان حازماً عفيفاً عن الدماء ، مهيباً ، يباشر أمور الملك بنفسه . تملك الديار المصرية تحت جناح والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة .

(13) السلطان الأيوبي السادس تولى الحكم بعد وفاة أبيه الكامل سنة 635 هـ . عُرف عنه الفسوق ، وانشغاله بالترف واللهو ، فخلعه أخوه نجم الدين أيوب سنة 637 هـ .

(14) سابع سلاطين بني أيوب بمصر ، حكم من 1240م إلى 1249م . أنشأ المماليك البحرية بمصر ، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام ، وفي آخر حكمه تعرضت مصر لحملة صليبية عرفت بالحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك

سرعان ما اتسعت رقعة الصراع عندما علم عمهما " **الناصر داوود** " ⁽¹⁵⁾ بوقوع دمشق في يد **الصالح** وقد كانت من قبل من أملاك أبيه فأخذ يخطط من أجل الاستيلاء عليها فتحالف **الناصر** مع **العادل** في مواجهة **الصالح** .

فرنسا. توفي الصالح أيوب أثناء احتلال الفرنج لدمياط وخلفته أرملته شجرة الدر.

(15) الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر ابن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الكبير ابن أيوب؛ حنفي المذهب عالماً فاضلاً مناظراً ذكياً، له اليد البيضاء في الشعر والأدب، ، وولي السلطنة سنة أربع وعشرين بعد والده، وأحبه أهل دمشق، وسار عمه الكامل من مصر ليأخذ دمشق منه، فاستنجد بعمه الأشرف، فجاء لنصرته، ونزل بالدهشة، ثم تغير عليه ومال لأخيه الكامل، وأوهم للناصر أنه يصلح قضيته، فاتفقا عليه وحاصراه أربعة أشهر وأخذا دمشق منه، وسار إلى الكرك وكانت لوالده، وأعطى معها الصلت ونابلس وعجلون وأعمال القدس؛ وعقد نكاحه على بنت عمه الكامل، ثم إن الكامل تغير عليه، ففارق ابنته قبل الدخول بها ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب دمشق وسار لقصد مصر، جاء عمه الصالح إسماعيل وملك دمشق، فتسحب جيش نجم الدين عنه، وبقي في نابلس في جماعة قليلة، فجهز الناصر عسكرياً من الكرك فأمسكوه وأحضره إلى الكرك، فاعتقله عنده مكرماً. ثم إنه اتفق مع الصالح نجم الدين أيوب في أنه إن ملك مصر وشرط عليه أشياء وأطلقه، فلما ملك مصر وقع التسوية منه والمغالطة، فغضب الناصر ورجع فبعث الصالح عسكرياً واستولوا على بلاد الناصر.

وجد **نجم الدين** نفسه في هذا الصراع وحيدا فما كان له إلا أن لجأ إلى عمه "**الصالح إسماعيل**" ⁽¹⁶⁾ صاحب **بعلبك** كي يشد عضده ويكون في صفه في مواجهة هؤلاء ، فرضي **الصالح** بذلك .

في الحقيقة كان **الصالح إسماعيل** يدبر لانتزاع **دمشق** من **نجم الدين** فمال إليه حتى ينول ما يرجوه وبالفعل أستغل غياب **الصالح أيوب** وهاجمها وحاصر قلعتها وأستولى عليها " 637هـ - 1239م " .

لما علم **ممالك** **الصالح أيوب** بذلك خافوا على أنفسهم وأولادهم فرحلوا تاركين **نجم الدين** دون من يدافع عنه سوى فئة قليلة من **ممالكه** المقربين وجاريتته **أم خليل " شجر الدر "** ⁽¹⁷⁾ ، ثم عظمت البلوى حين قام **الناصر داوود** في تلك الأثناء بالقبض على **الصالح أيوب** وسجنه في قلعة الكرك.

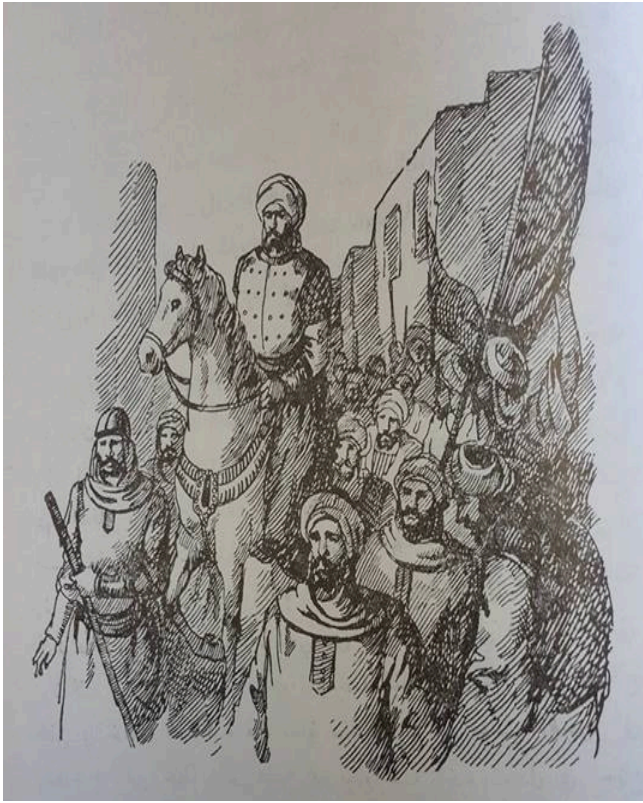
(16) استولى إسماعيل بدعم من الأيوبيين في الكرك وحماة وحمص على دمشق من أيوب في 1239 وكان هذا إيذاناً ببدء حقبة من التنافس بين إسماعيل وأيوب .

(17) شجر الدر عصمة الدين أم خليل، خوارزمية الأصل، وقيل أنها أرمينية أو تركية. جارية اشتراها السلطان **الصالح نجم الدين أيوب**، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في 2 من صفر 648 هـ تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من **المماليك** وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان **الصالح أيوب**، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك التركماني سنة 648 هـ ، لعبت دوراً تاريخياً هاماً أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة .

قاسى **نجم الدين** وقاست معه **شجر الدر** ولاقوا من المحن والأهوال الكثير طيلة سبعة أشهر قبل أن يطلق **الناصر داوود** صراحهما بعد أن حلفه على ما يعجز عنه الرجال .

ثم إن **المماليك الكاملية** بالتعاون مع **المماليك الأشرفية** أرادوا تنصيب **نجم الدين** وأستدعوه من حصن **كيف** ليتولي حكم **مصر** فكان لهم ما ارادوا .
سر الناس كثيرا بسلطنة **الصالح** وزينت له **القاهرة** وظواهرها وقلعة الجبل فأستولى على ديار **مصر** من غير كلفة ولا مشقة ولا تعب .

[السيوطي - حسن المحاضرة]
بعدهما أستتب للملك **الصالح نجم الدين أيوب** حكم البلاد راح يسترد ملكه ومملك آبائه الذي كان ، تارة من عمه **الصالح إسماعيل** وتارة من **الصليبيين** لم يكن الأمر بالسهل فقد وردت الأنباء بتعاون **الصالح إسماعيل** و**الناصر داوود** مع **الصليبيين** وساروا يدا واحدة ضد **نجم الدين** .
واجه **الصالح أيوب** ذلك بأن أستعان بفرقة من المقاتلين **الخوارزمية** لمجابهة هذا العدوان الغاشم ، في البداية حارب **الخوارزميين الصليبيين** وأستردوا منهم **بيت المقدس** فأرسلوا إلى **الملك الصالح** يخبروه بالإننتصار وبإسترجاعهم **لبيت المقدس** فأمرهم بالإقامة في غزة ثم أرسل إليهم الأمير **جمال الدين أقوش** والأمير **جمال الدين مطروح** حاملين معهما النفقات والخلع ، كما سير طائفة من **المماليك** بقيادة الأمير **ركن الدين بيرس البندقداري** لينضموا إلى **الخوارزميين** لمحاربة تحالف **الصالح إسماعيل** و**الناصر داوود** و**الصليبيين** .



في معركة أطلقت عليها
فيما بعد **حطين الثانية**
، نجحت قوات **الملك**
الصالح ومعها
الخوارزمية من
إلحاقهم هزيمة منكرة
ومن ثم الإستيلاء على
مدن الساحل والقدس
والخليل وبيت جبريل
والأغوار لتصبح تحت
حكم سلطان مصر-
الملك الصالح نجم
الدين أيوب .

وبعد المعركة خاب ظن

الخوارزمية في الحصول على المزيد من الغنائم وما كانوا يطمعون إليه من
الحكم ، فتغيرت على إثر ذلك سياستهم وأتفقوا على الخروج عن طاعة
الملك الصالح ، ولكن **الصالح أيوب** كان قد بدأ الاستعداد لمثل ذلك اليوم
وذلك أنه " لما مر به ما تقدم في الليلة التي زال عنه ملكه بتفرق الأمراء
وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه وعى لهم ذلك
، فلما أستولى على ملك مصر- أكثر من شراء المماليك وجعل معظمهم
عساكره وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه وأعتقلهم وقطع
أخبارهم وأعطى مماليكه الأمريات فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه " .

[المقريزي - السلوك 339/1]

ثم أكثر وأكثر من شرائهم حتى إنه أضاف إلى الجيش أكثر من ألف مملوك
تركي دفعة واحدة جلبهم من تركستان وشمال البحر الأسود وبحر قزوين.

كان التجار يأتون بالمماليك الصغار إلى أرض القاهرة عن طريق البحر في رحلة بحرية ربما كانت سبب تسميتهم فيما بعد **بالمماليك البحرية** قادمين من بلاد القوقاز وبلاد ما وراء النهر وحول نهر الفلجا مروراً بشواطئ البحر الأسود ثم دخولهم إلى مصر من خلال ثغري الإسكندرية ودمياط ، فإذا دخلوا مصر قدموا إلى **السلطان أيوب** فيستقبلهم كاستقبال كبار الشخصيات ويمنحهم الخلع والمال الكثير كعادة السلاطين الأيوبيين من قبله وكذلك سار على نهجهم من خلفهم .

وفي بعض الأحيان يباع هؤلاء **المماليك** من خلال التجار أو ما يسمى بدلال **المماليك** أو **الخواجه** وهؤلاء كثيراً ما كانوا من الأوروبيين **النصارى** و**اليهود** ، كل ذلك يجري في أسواق أنشئت خصيصاً لذلك الغرض كسوق " **خان مسرور** " الذي كان قد أنشئ من قبل في عهد **صلاح الدين** ، ثم يشتريهم **السلطان** أو من ينوب عنه ويسلمهم إلى المختص فيلحقهم ببني جنسهم ، فكان **المملوك** إذا دخل **قلعة الروضة** يتعلم أمور وفق نظام محدد .

لم يكن وقوع هؤلاء في أيدي النخاسين بالأمر الصعب فقد كان يتدفق إليهم سيل من أبناء **بلاد ما وراء النهر** باستمرار نظراً لتهاافت المملوك والأمراء على شرائهم بأثمان باهظة فصار حلم كثير من الأباء بيع أطفالهم على وعد بغناء فاحش لهم إذا ما صاروا كباراً .

ثم إن القبائل في أواسط آسيا كانت لا ترى غضاظة في بيع أفلاذ أكبادها للنخاسين الذين كانوا يعدونهم حسن المستقبل والسعادة جراء هذه الصفقة .

ومما يجمع الجميع عليه أن هؤلاء الرقيق الذين جاء بهم **الملك الصالح أيوب** إلى أرض مصر وأسكنهم قلعة الروضة⁽¹⁸⁾ ومن ثم كان لهم حكم البلاد فيما بعد على مدار أكثر من قرنين من الزمان أطلق عليهم اسم **المماليك البحرية** أما عن سبب التسمية فقد اختلفوا. بعض المؤرخين يرى السبب في تسمية **المماليك البحرية** بذلك لطريقة جلبهم عبر البحار من البحر الأسود إلى بحر القرم ثم إلى خليج القسطنطينية ومنه إلى البحر المتوسط ثم إلى دمياط ثم إلى ميناء الإسكندرية .

[سير أعلام النبلاء / الذهبي 192/23]

ومنهم من يقول أنهم سموا بالبحرية لأن **الصالح أيوب** أسكنهم جزيرة الروضة .

[المقريزي 441/1- النجوم الزاهرة 221/6- ابن خلدون 430/5]

ولكن مما لا شك فيه أن المصادر قد أثبتت أن مسمى **البحرية** كان موجودا في العهود السابقة للعهد الأيوبي دون أن يكون **للصالح أيوب** سبق في ذلك.

[ابن الأثير - الكامل 224/7]

ثم إن **المماليك** ليسوا من أصل واحد أو من مكان واحد وإنما هم نتاج لظروف خاصة وأجناسهم مختلفة من الأتراك والجركس والروم وبعض العرب بل كان بينهم مماليك **فرنج** يغلب عليهم الشقرة ، ولكن معظم المماليك في العهد **المملوكي** الأول من أصل **تركي** ، وذلك إستمرار لما كانت عليه **أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب** ، وكان **الملك الصالح** قد إنفض

(18) بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب في عام 1241م لمماليكه بجوار مقياس النيل و شُيّدت بها دور وقصور، واستمرت حتى عهد السلطان المعز عز الدين أيبك، الذي أمر بتدميرها لإقامة مدرسته المعزية في مكانها.

عنه مماليكه **الكردية** ولم يقفوا بجانبه وبقي معه عدة ممالك من أصل تركي ولم يتخلوا عنه مما جعل في نفسه حبا لذلك الجنس .

[المقريري- السلوك 1/ 441]

وكانت تلك الحادثة هي التي ربطت **الصالح نجم الدين أيوب** بالجنس التركي لإعتقاده الجازم بإخلاصهم وولائهم بعد تجربته المريعة مع الأكراد وإنفصالهم من حوله وبقاء الممالك التركية على عهدهم معه رغم قلة حيلته آنذاك مما أثر على أحوال مصر والشام والمنطقة كلها لمئات السنين بعد ذلك .

[هاني فخري- النظام العسكري 21]

لقد ساعد **الملك الصالح** من الاكثار من شراء تلك الفئة خاصة دون غيرها من الجنود توفرها بكثرة فضلا على إنخفاض أثمانهم ويرجع ذلك إلى عدة أمور أهمها ذلك الهجوم البربري الذي أصاب منطقة وسط آسيا من المغول في تلك الحقبة ، **فالمغول** هجموا على **القفجاق** وأسروا معظمهم وقام التجار بشراء وأحضار هؤلاء الأسرى إلى البلاد .

[فرسان الإسلام -جيمس واترسون]

فحينما هاجم التتر وسط آسيا كان **الأسويون** يهربون أمامهم ، ورغبة في الحصول على ما يمسك رمقهم كانوا يبيعون ذكور أولادهم وإنائهم بسبب قسوة بيئتهم إضافة أن المغول كانوا يتعاملون معهم بأحد خيارين من لا يقتل يباع كرقيق فلقد كان المغول كثير العدد يملأون الوديان وسفاح الجبال وخيولهم لا تتعب أبدا فمن أين حاجتهم لبني البشر .

[عبد المنعم ماجد -الدولة الأيوبية 145]

ولكن **الله** غالب على أمره ، شاء **الله** أن يكونوا هم وبفعلتهم هذه من يخلقون جيشا غدا سوف يصبح سبب هلاكهم .

لقد أحب **الصالح نجم الدين أيوب** ممالكه فأحبوه ، ظهر هذا جليا في تلك الكلمات التي أوصى بها الملك أبنه " **توران شاه**" ⁽¹⁹⁾ حين قال :

(19) آخر سلاطين الأيوبيين الفعليين على مصر وبمقتله سقطت دولة الأيوبيين بمصر وقامت دولة المماليك.

"وتوصي بالمماليك غاية الوصية فهم الذين كنت أعتد عليهم وأثق بهم هم ظهري وساعدي ، تتلطف بهم وتطيب قلوبهم وتوعدهم بكل خير ولا تخالف وصيتي فلولا المماليك ما كنت قدرت أن أركب فرسا " فيومذاك ولد المماليك .

لقد سلك الصالح نجم الدين أيوب في شراء المماليك الترك ما لم يسلكه من قبله أحد من أهل بيته ربما أراد رداً لجميل المماليك الذين لولاهم ما ولي ملك مصر ، وكانت للمماليك النشء عادات جميلة ، أولها أنه إذا قدم بالملوك تاجر عرضه على السلطان ، وأنزله في طبقات جنسه وسلمه للطواشي فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة منهم لها فقيه يحضر إليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله - تعالى - ، ومعرفة الخط ، والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار فإذا شب الواحد منهم علّمه الفقيه شيئاً من الفقه ، حتى إذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ، ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلّم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه ، ثم ينقل إلى الخدمة وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء ، فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه ، وكثرت آدابه ، وأمتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، وأشتدّ ساعده في رماية النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر ، هذا ولهم أزمّة من الخدام ، وأكابر من رؤوس النوب يفحصون على حال الواحد منهم الفحص الشافي ، ويؤاخذونه أشدّ المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن ، أو الطواشي الذي هو مسلم إليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنباً ، أو أخلّ برسم ، أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا ، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه .

لقد احتلوا مكانة متميزة فكانوا أعظم الرجال المقاتلين في العالم في زمانهم وعنوانا بارزا لجوهر المقاتل الفارس الذي يصل إلى حد الكمال في مهاراته في إستخدام القوس والرمح والسيف . تركوا لنا ما يكفي للبرهنة على عظم تاريخهم ومآثر فذة لا يجب بأي حال من الأحوال أن تتوارى في ظلمات التاريخ . فرسانا وروماة سهام لا يشق لهم غبار قادرين على التفوق في الهجمات من حيث القوة والدقة ومعدلات الاطلاق .

[فرسان الإسلام 111 - جيمس واترسون]

والحق أن المماليك بعد ذلك اليوم أصبحوا مصريين حتى النخاع لا فرق بينهم وبين المصريين ، حيث أوتي بهم ليستقروا في مصر- مدى الحياة ، لم يحدث أن واحدا منهم قرر العودة لبلده ، بل تكونت شخصياتهم وطباعهم من المصريين فيها عاشوا وفيها ماتوا ولأجلها قاتلوا وقتلوا بل وبها دفنوا وأنجبوا أولادا وأفتخروا بنسبتهم إليهم .

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك]

غدوا بعد جلبهم إليها جزءا من مصر- وتاريخها بل ونجحت مصر- في إستيعابهم وهضمهم وتشكيلهم وأعتنقوا الإسلام وأحسوا بأحاسيس أهل البلاد وأنفعلوا بحضارتهم فأمدوا الوطن بدماء جديدة حتى غدوا درع المنطقة الذائدين عنها غدوا لا يعرفون لهم وطنا إلا مصر- ولا أرضا غير أرض العروبة ولا دينا غير الإسلام .

[سعيد عاشور - العصر المماليكي 399]

فلما أشرفت الدولة الأيوبية على الانحلال وتوزعتها المطامع خلصت الدولة للمماليك وكأنها خيّل إليها غدها فجاءهم الملك يسعى إليهم ، فكانت المماليك الصالحة وهم يومئذ عدة الدولة وعضدها ومظهر قوتها وعنفوانها.

" صان الله بهم حمى الإسلام من أن يتبدل ، وحفظ على المسلمين بعزهم نظام هذه الدول ، وبسيفهم أثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل ، وبعزمهم رجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأول ، فأيقظوا لنصرة

الإسلام جفناً ما كان غافياً ولا هاجعاً ، وكانوا في مجاهدة أعداء الله أئمة متبوعين لا تابعاً ، وأيدوا كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلا مطيعاً سامعاً .

فلو شاهدت قبلهم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام ، وأستباحوا الدماء والأموال ، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال ، وهتكوا حرم الخليفة والحريم ، وأذاقوا من أستبقوا العذاب الأليم ، فأرتفعت الأصوات بالبكاء والعويل ، وعلت الضججات من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه ؟ وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه ؟ فقاموا بنصر الإسلام عند قلة الأنصار ، وشردوا جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار فأصبحت الأمة بهم منتظمة العقود ، والدولة بجهدهم متكاثرة الجنود ، وقاتلوا أولياء الشيطان فظفروا ، فحينئذ أعلموهم بأن الحرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر يومان والأخرة للمؤمنين .

[الخليفة ابو العباس أحمد]

وبعد عين جالوت منح هذا النصر الذي تحقق على المغول الشرعية الرسمية والشعبية للمماليك وأضحوا حينذاك حماة الإسلام فزاد نفوذهم وهيبتهم وأصبحوا القوة الرئيسية الإسلامية في الشرق ، فحينئذ تبدلت المواقف . أسس المماليك⁽²⁰⁾ دولة إسلامية رائعة عظيمة خالدة كبيرة مترامية الأطراف شملت مصر وبلاد الشام والحجاز وأمتد حكمهم على مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمان، تخلل هذه الفترة مراحل الجهاد الإسلامي للدفاع عن الدين والأرض ضد الأخطار التي هددت المنطقه من الصليبيين والأرمن والمغول والغرب الأوربي أحيانا .

(20) قسم المؤرخون الدولة المملوكية إلى دولتين هما: دولة المماليك البحرية من سنة 648 هـ / 1250 م إلى سنة 784 هـ / 1382 م وحكم المماليك البرجية من سنة 784 هـ / 1382 م إلى سنة 923 هـ / 1517 م .

لقد كانوا سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل الله ، وأهل سياسة يبالبغون في إظهار الجميل ، ويردعون من جار أو تعدى .
أحرزوا بإسم الإسلام إنتصارات باهرة فمازالت أسماء مواقع عين جالوت ، ومرج الصفر ، والمنصورة وفارسكور ، وأنطاكية ، وطرابلس ، وعكا حية في التاريخ تشهد لهم بالبطولة والشجاعة والفداء وقد تحققت هذه الإنتصارات بفضل جيوشهم الأكثر إعدادا والأدق تنظيما .

ثم إن المماليك أرسوا نشاطا دينيا وعلميا خصبا سحب إنتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة ، ظهر أثره في مصر والشام من خلال إحياء شعائر الدين وإقامة المنشئات الدينية والرغبة الجامعة في الإقبال على التعليم والتأليف والكتابة ، مابين إزدهار فكري في شؤون الدين والعبادة وإهتمام متزايد في اللغة وقواعدها ومعاجمها وشروحها وبيانها وعروضها وقرآن كريم وعلومه " قراءات وتفسير " وحديث وسنة وفقه على مذاهبه المختلفة ، وتاريخ وعلم إجتماع وأداب وعلوم إنسانيه ، إلى عناية بالشؤون الفنية والعلمية من فلك وطب وهندسة وحرف مختلفة وعمارة .

وأنتقل في عهدهم مقر الخلافة من بغداد إلى القاهرة ، وطبعت البلاط المملوكي بنظام خاص لم يكن موجودا من قبل ، ونظمت الدواوين ، وحددت اختصاصات كبار الموظفين ، وأسست أول جيش نظامي في مصر- في العصور الوسطى ، وحفل عهدها بقضاة ضربوا أروع الأمثلة في الإعتداد بالرأي وبمورخين أغنوا المكتبة الإسلامية بنتائجهم الغزير أمثال ابن عبدالظاهر ، والمقريزي وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي .

والعصر المملوكي هو العصر الذي أضحت فيه مصر والشام مركزا للتجارة العالمية والطريق الرئيسي لتجارة الشرق وبوابة العبور إلى أوروبا .
فالعصر المملوكي لم يكن عصرا عاديا ، وإنما هو عصر تجلت فيه حركة دائمة على مختلف الأصعدة ، حروب في الخارج ، وتوسع وإنتصارات ترتب عليها تحصين الشرق الأدنى ضد إعتداءات المغيرين والمغتصبين ، وحياة داخلية حافلة بالمنجزات الإنشائية والعمرانية والاقتصادية والثقافية والدينية .

الفصل الثاني:

بيبرس ومعركة المنصورة



بيبرس ومعركة المنصورة :

بين نهاية القرن الحادي عشر الميلادي والثالث عشر أبتلي العالم الإسلامي بثمانى حملات صليبية ، كانت نصيب مصر منها اثنتين " **الخامسة والسابعة** " ، أخذاً بنصيحة قائد الحملة الصليبية **الثالثة ريتشارد قلب الأسد** حين قال: " **ان مصر مفتاح بيت المقدس** " .

كانت بواعث تلك الهجمات في ظاهرها استعادة الأراضي المقدسة المسيحية من أيدي **المسلمين** أما باطنها وهي الحقيقية بواعث إقتصادية وسياسية وإجتماعية .

فلما جاء منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كان **لويس التاسع** أعظم ملوك أوروبا آنذاك بل وأشهرهم وأشدهم تديناً ، كان قد رأى في منامه شخصين يتقاتلان أحدهما مسلم والآخر مسيحي ، فرأى أن الأول قد أنتصر على الثاني . فسرت له هذه الرؤية أن صليبي الشرق بحاجة إلى المساعدة وأن **الله** قد أناط به هذه المهمه ، وفي تلك الأثناء كان لوقوع بيت المقدس وطبرية وعسقلان في أيدي المسلمين وما فعله الخوارزميين بجنودهم الأثر السيء في نفوس الغرب الأوروبي المسيحي مما جعل الباباوية تدعو لحملة صليبية جديدة لاستعادة بيت المقدس والثأر من المسلمين .

أستجاب **لويس التاسع** لتلك النداءات وقرر قيادة الهجوم الصليبي على مصر .

في البداية أرسل إلى السلطان **نجم الدين أيوب** رسالة يقول له فيها :
" أنه يسوق المسلمين في الأندلس سوق البقر ويقتل الرجال ويرمل النساء ويستأسر البنات والصبيان وأن عدد عساكره بعدد الحصى ثم دعا الملك الصالح إلى الخضوع له على أن يبقى للمسلمين مساجدهم في القدس ويقبل منه دفع الجزية " .

[المقريزي - السلوك 1/334]



ما كان من **الملك الصالح**
أيوب إلا أن رد عليه برسالة
بواسطة كاتب الإنشاء **بهاء**
الدين زهير الشاعر : " نحن
أرباب الحقوق وفضلات
السيوف ما نزلنا على
حصن إلا هدمناه ولا عدم
منا فارس إلا جددناه ولا
طغى علينا طاغ إلا دمرناه

فلو نظرت أيها المغرور جد قلوبنا وجد حروبنا لرأيت فرسانا أسنتهم لا
تمل وسيوفهم لا تكل وقلوبهم لا تذلل ولعضيت على يدك من الندم " ،
فلما وصلت أخبار عزم **لويس** غزو مصر أرسل السلطان إلى " **شجر الدر** "
يخبرها بذلك وهو يومئذ في بلاد الشام .

ما لبث أن دخل **الصليبيون** **دمياط** في 22 **صفر سنة 647 هـ** دون قتال ولا
إراقة دماء ، خرج أهلها منها حفاة عراة جياعا فقراء .

كان **الملك الصالح** قد كلف بها حامية من **عرب كنانة** بقيادة الأمير " **فخر**
الدين يوسف بن شيخ الشيوخ " ⁽²¹⁾ فلما أقترب **الصليبيون** من الحصن
فر الجنود من أمامهم وتركوا **دمياط** فريسة سهلة في أيدي العدو حتى
دخلها **لويس** بجنوده وحول مسجدتها إلى كاتدرائية سماها **نوتردام** على
أسم كنيسة **باريس** .

(21) أحد الأمراء المهرة الصالحين في عهد الملك
الكامل، وازداد نفوذه في عهد الملك الصالح نجم
الدين أيوب، و عهد شجرة الدر وفي الحملة
الصليبية السابعة حقق الأمير فخر الدين كثير من
الانتصارات على الصليبيين، وأسر منهم الكثير
وأسر بعضا من قادتهم، وغنم كثيرا من الغنائم
منهم، ودمر الكثير من سفنهم وشوانيهم .

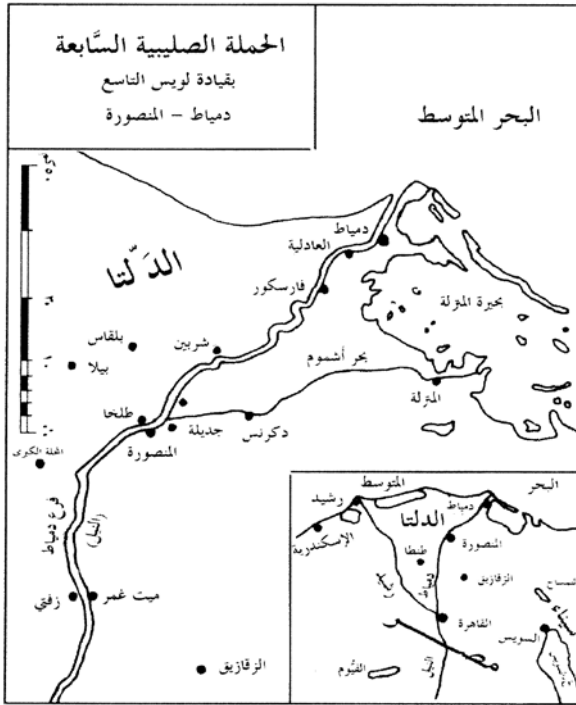
[عبد المنعم ماجد - الدولة الأيوبية 130]

لما علم **الملك الصالح** ذلك حزن حزنا شديدا ووبخهم وعنفهم وشنق ما يزيد عن خمسين رجلا من رجال بني **كنانة** الذين كان منوط بهم الدفاع عن **دمياط** .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 31]

وبعد إستيلاء **الصليبيين** على **دمياط** ظلوا **خمس** أشهر منتظرين إمدادات جديدة من **فرنسا** ، وحتى تنتهي فترة الفيضان لكي لا يقعوا في خطأ الحملة **الخامسة** قبل **ثلاثين** عاما ، فأستغل المسلمون ذلك وعملوا على إعادة ترتيب الصفوف .

وفي تلك الأوقات مات الملك **الصالح نجم الدين أيوب** فلعبت **شجر الدر** بمساعدة **المماليك البحرية** دور البطولة المطلقة .



العدو على الأبواب قد ملك ناصية الطريق ورابطت سفنه في النيل وتوشك خيله أن تطأ أرض الوادي فتحوزه من أطرافه والملك مسجى في فراشة قد أغمض عينيه الاغمضة الأخيرة فلن يفتحها أبدا ولم يول عهده أحدا يحمل راية الجهاد من بعده ، وولده الوحيد بعيد في حصن كيفا وليس له من الحزم وحسن التدبير ما يؤهله لولاية العرش في هذا الوقت العصيب ، وأمراء بني



أيوب في الشام يتواثبون توابث الضفدع يخيل
إلى من يراه أنه نشاط وجهاد وما هو في ذلك
في شئ ، كلهم يطمع في العرش وما فيهم
أهلية لحمل تبعاته .

[محمد سعيد العريان - شجر الدر]

في تلك الظروف الصعبة . قامت **شجر الدر** في
البداية بإخفاء خبر وفاة **السلطان** للحفاظ على
الروح المعنوية للجيش ثم أمرت بوضع **الملك**
في تابوت بعد أن غسل بواسطة أحد الأطباء

ثم نقلته خفية من **المنصورة** إلى قلعة **الروضة** عبر النيل ، كل ذلك والأطباء
داخل القصر لا ينصرف أحد منهم بل ظل دهليز **الملك** على حاله وظل
السماط يمد كل يوم على عادته فإذا سئل على **الملك** أحد ردت : " **إنه**
مريض ما يصل إليه أحد " .

كل هذا وهي على حالها تلتقي بالجميع من وراء ستار وتخرج المكاتبات
وعليها علامات **السلطان** وتوقع على المناشير .

كان **السلطان** " **نجم الدين أيوب** " يعلم ما في ولده " **توران شاه** " من
الهُوج فكتب إلى نائب السلطنة الأمير " **حسام الدين بن أبي علي** " :
" اذا ما مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة **المستعصم** يرى فيها رأيه " .

[المقريزي - السلوك 445]

غير أنه يبدو انه قد غير رأيه وهو على فراش الموت فأسند **الملك** إليه ،
وبناء على رغبة **السلطان** الطارئة جمعت **شجر الدر** الأمراء وطلبت منهم
أن يحلفوا له ولإبنه " **المعظم غياث الدين توران شاه** " صاحب كيفا
وللأمير **فخر الدين يوسف** بقيادة الجيش .

كان الأمير **فخر الدين** عاقلاً مدبراً ، خليقاً بالملك ، جواداً محبوباً إلى الناس
، فاتفق مع **شجر الدر** على القيام بتدبر المملكة ، إلى أن يقدم **الملك**
المعظم توران شاه .

[المقريزي - السلوك 445]

لبنى الأمراء وسائر الجند والمماليك السلطانية طلب **شجر الدر** فحلفوا جميعا ثم أرسلت إلى نائب السلطنة الأمير **حسام الدين** في القاهرة أن يحلف أكابر الدولة وأجنادها **لتوران** فلبى على الفور ودعا **قاضي القضاة " بدر الدين يوسف أبو الحسن " وكاتب الأنشاء القاضي " بهاء الدين زهير "** (22) وحلف في حضورهما من حضر من الأعيان وكبار الدولة ثم أمر الخطباء بالدعاء **لتوران شاه** يوم **الجمعة** بعد الدعاء لأبيه .

كانت **شجر الدر** قد أرسلت **" فارس الدين أقطاي "** (23) وهو يومئذ على رأس المماليك البحرية لإحضار **المعظم توران شاه** من حصن **كيفا** .

(22) من فضلاء عصره وأحسنهم نظاما ونثرا وخطا ومن أكبرهم مروءة كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه وقبض عليه عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك فأقام بهاء الدين زهير بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية وكان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ونفع خلقا كثيرا بحسن وساطته وجميل سفارته .

(23) ضمه الملك الصالح أيوب إلى المماليك البحرية ونشأ في قلعة الروضة ، وأصبح فيما بعد مقدم المماليك البحرية بمصر. بعد وفاة السلطان أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة ، أرسلته شجرة الدر أرملة الصالح إلى حصن كيفا لاستدعاء ابنه توران شاه لتولي زمام الأمور في البلاد ، وبعد مصرع الأمير فخر الدين يوسف أتابك الجيش ، تسلم أقطاي قيادة الجيش وأصبح القائد العام للجيش المصرية ، واستبسل مع بيبرس البندقداري وقلاوون

خمسة وسبعون يوما والأمر خفاء ، السلطان وارى جسده التراب ولا أحد يعلم ما جرى له ، كل يجري كما رتبت له أم خليل .
ثم بدأ خبر موت السلطان يتسرب إلى الأمراء ولكن أرباب الدولة لا يجسرون أن يتفوهوا بذلك ولكن الأمر كان مؤلما عندما وصل الخبر إلى الصليبيين .

أنتهز أعداء الله الفرصة وساروا نحو فارسكور حتى وقع القتال بينهم وبين المسلمين برا وبحرا وأستمرت المناوشات بين الجانبين شهرين كاملين لا يفصل بين المعسكرين سوى بحر أشموم .

وفي يوم 4 ذي القعدة سنة 647 هـ قرر لويس عبور البحر بجنوده وصاروا ينقضون على المسلمين يقتلوهم بلا رحمة ولا شفقة ولا هوادة ، فراح ضحية الهجوم الكثير ، منهم قائد الجيش فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ فبقي العسكر يدبر أمره شجر الدر بعد أن ظل الأمير فخر الدين يوسف يدبر أمره بعد موت الصالح أيوب ، فقامت بالتدبير أتم قيام ولم تواجه بطمع في الملك لعظمتها في النفوس .

ثم كادت الكسرة أن تكون ، فإن لويس التاسع وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان إلا أن الله تدارك الأمة بلطفه وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية التي تعرف بالبحرية وفيهم " ركن الدين بيبرس " فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها وأزاحوهم عن باب القصر حتى قتل منهم نحو الألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج .

[المقرئزي - السلوك 1/448]

الألفي و بقية المماليك البحرية وعوام المصريين
في الدفاع عن مدينة المنصورة .

وكانت

هذه

المعركة

بداية

النصر

ومفتاح

الظفر

يرجع

الفضل

فيها إلى

الممالك

البحرية

وقائدهم

ركن

الدين

بيبرس

ابن
خلدون

كان **بيبرس** قد وضع خطة وافقت عليها **شجر الدر** وهي أن يلتزم أهل المنصورة بيوتهم ويقف العساكر في كمائن فإذا دخل **الصليبيون المنصورة** ووصلوا القصر- السلطاني أعطى **ركن الدين** أشارته فأنقضوا عليهم في الشوارع فإذا أحتموا في البيوت أنهار عليهم الأهالي ضربا ، بالفعل حدث ما خطط له من قبل وبلغ العدو الطعم وأخذ الأهالي يرمونهم بالقذائف والأحجار والطوب من الأسطح والنوافذ **جال بيبرس في الميدان يحز الرقاب ويقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهمام ويجندل الأبطال .**

[محمد سعيد العريان - شجر الدر]

ثم رحل **الفرنج** يريدون **دمياط** فأنحدرت مراكبهم في البحر فركب المسلمون وأحاطوا بهم وبذلوا فيهم سيوفهم وأستولوا عليهم فبلغت عدة القتلى **عشرة آلاف** في قول المقل وأسر من خيالة **الفرنج** ورجالاتهم المقاتلة وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة وأستشهد نحو مائة رجل وأبليت الطائفة البحرية لا سيما **بيبرس البندقداري** في هذه النوبة بلاء حسنا وبان لهم أثر جميل .

[المقريزي - السلوك 455/1]

طارت البشائر على أجنحة الحمام إلى كل مكان بهذا الانتصار العظيم ، وبعد أيام وصل **توران شاه** إلى **المنصورة** فأستقبلته **شجر الدر** بحفاوة بالغة وأنزلته قصر- أبيه وسلمته مقاليد الأمور بعد **ثلاثة شهور** من موت **السلطان نجم الدين** ثم راحت تعلن خبر وفاة **السلطان** على الناس وتحثهم على **الجهاد** ولم يكن احدا قبل ذلك اليوم يجرؤ على النطق بذلك .

[المقريزي - السلوك 459/1]





الفصل الثالث :

بيبرس وتوران شاه بن الصالح أيوب



الظاهر بيبرس وتوران شاه ابن الصالح أيوب :

كان الملك **الصالح نجم الدين أيوب** قد كتب وصية لأبنه **المعظم توران** يوصيه بالمماليك كتب له فيها : " هم جناحك الذي تطير به وظهرك الذي تركزن إليه فطيب قلوبهم وزد في إقطاعاتهم " .

خالف **المعظم** وصية أبيه فأساء إلى زوجته وإلى مماليكه ، بعث **لشجر الدر** يتهدها ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوفا كبيرا لما بدا منه من الهوج والخفة فكتبت إلى المماليك البحرية وظلت تذكر وتعدد ما فعلته من تهديد الدولة وضبط أمورها حتى حضر- وتسلم المملكة وما حازها من التهديد والمطالبه بما ليس عندها . لم يكتف **توران** بذلك بل أستدعى سخط الأمراء وهو الذي كان قد وعد الفارس **أقطاي** من قبل أن يؤمره فلم يف له بذلك فتنكر له **أقطاي** وكنتم الشر .

مستعينا بغرور قد أصابه من النصر- متناسيا ما أبلاه البحرية في تلك المعركة راح يضيف إلى تلك العداوات عداوات فأكثر من الإعراض عن ممالك أبيه وقدم الأراذل ممن قد جاءوا معه فولاهم الوظائف السلطانية وأنعم عليهم بأموال كثيرة وأقطاعات جليلة وأساء للمماليك وتوعدهم . صار اذا سكن الليل جمع بين يديه من الشموع وضرب رؤوسها بالسيف حتى تتقطع ويقول وهكذا أفعل بالبحرية ويسمي كل واحد منهم باسمه ، وصار لا يرضى عن شيء فعله أبيه ولا يحلف إلا بتربة جده . صار يبسط السجادة ويقوم يصلي وهو على غير طهارة .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 50]

مع الانهماك على الفساد **بممالك** أبيه ، ولم يكونوا يألفون هذا الفعل من أبيه ، وكذلك فعل بحظايا أبيه .

[المقرئزي - السلوك 460]

كان الملك **الصالح أيوب** قد قال يوما وسط أمراءه عن ابنه : " متى حضر **إلى هنا قتلته** " وقدر **الله** أن الأمراء الأربعة الذين باشروا قتل **العادل** بأمر أخيه **نجم الدين** هم من سوف يشتركون في قتل **المعظم توران** .

[المقرئزي - السلوك 460]

لما فاض بابن **نجم الدين** الكيل ونفرت منه القلوب أشفقوا على قتله ، فلما كان اليوم الموعد ومد السماط جلس **السلطان المعظم** فتقدم إليه الأمير **ركن الدين بيبرس** وضربه بالسيف فتفاداه بيده فأصاب أصابعه فالتجأ إلى البرج الخشب وهو يصيح من جرحني ؟ قالوا " **الحشيشة** " فقال : لا **والله** إلا البحرية **والله** لا أبقيت منهم بقية ثم أستدعى المزين ليداوي يده ، فقال البحرية بعضهم لبعض تمموا وإلا أبادكم فدخلوا عليه بالسيوف وهو في أعلى البرج فأغلق عليه بابه والدم يسيل من يده فأضرموا النيران في البرج ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج فاستجار **بأقطاي** فلم يجره ففر هاربا إلى البحر وهو يقول : **ما أريد ملكا دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين** ، هذا وجميع العسكر واقفون لم يجيبه منهم أحد والنشاب تأخذه من كل ناحية ، سبحو خلفه في الماء وقطعوه بالسيوف قطعاً حتى مات **جريحا حريقا غريقا** .

ثم ترك على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه إلا أن شفع فيه رسول الخليفة فحمل ودفن ، وموته أنتهى حكم دولة الأيوبيين في مصر .

[المقرئزي - السلوك 458/1]

تبددت دماء **السلطان المعظم توران شاه** في موجات مياه نهر النيل ومعها تبددت آخر مظاهر السلطة الأيوبية الحقيقية في مصر وإن بقي لها ظل يتوارى خجلا إلى جانب الأضواء التي فرضت نفسها على مسرح التاريخ آنذاك إذ كان الأيوبيون الأواخر قد فقدوا كافة مبررات البقاء في حكم المنطقة العربية بعد أن تخلوا عن دورهم التاريخي الذي بدأه **صلاح الدين** .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك]

لقد كانت بلاد الشام تتقاسمها سلطات متنازعة وهي **الصليبيين** من جهة وأمراء **البيت الأيوبي** الذين انقسموا فيما بينهم من جهة أخرى ، فلا يمكن تصور الحال فيم لو نجح **توران شاه** بالبقاء ونفذ ما فكر به من القضاء على المماليك ، **فتوران شاه** لن يكون **صلاح الدين** على كل الأحوال ، لكن المماليك كانوا أكثر مما توقعت الأمة الإسلامية آنذاك .
بيضوا الأيام السود وأزاحوا الإفرنج وكسروهم وهزموهم وأسروهم وأخذوا ملكهم المسمى **ريدا فرنس** أسيرًا .

[بيبرس المنصوري - زبدة الفكرة 25/1]

وهكذا أمر الدنيا ، فالأيوبيون أنشئوا المماليك ، والمماليك نبتة أيوبية زرعتها وروتها حتى أشدت عودها .

[هاني فخري - النظام العسكري 52]



الفصل الرابع :

بيبرس بعد مقتل الفارس اقطاي



خروج بيبرس من مصر بعد مقتل الفارس أقطاي :

كانت **شجر الدر** في زمن زوجها **نجم الدين أيوب** هي التي تدبر أمر المملكة وتقضي حوائج الناس وتعلم المناشير والتواقيع ، ذات عقل وحزم وكاتبة قارئة عارفة بأمور المملكة فسلطنوها لحسن معرفتها وسداد رأيها .

[ابن أياس-بدائع الزهور 283/1]

أتفق الأمراء على أتابكية **عز الدين أيبك التركماني** ⁽²⁴⁾ على أن يكون الرأي والتدبير **لأم خليل**.

فلما أتفق الأمراء على ذلك خرج الأمير **عز الدين أيبك الرومي** من معسكره وذهب إلى قلعة الجبل ونقل إليها ما أتفق عليه أمراء المماليك فأبتهجت لذلك وأبدت رضاها وأرتياحها.

[أبن أيبك الدوادار- التحفة المملوكية]

ثم خففت الضرائب على الرعية لتستميل قلوبهم ونودي على منابر القاهرة " أن أحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمت الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان **الملك الصالح نجم الدين أيوب** ذات الحجاب الجليل والستر الجميل والدة المرحوم خليل " ، فنالت بذلك من الدنيا ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها فلم يل مصر في الإسلام امرأة قبلها .

بعد المعاهدة الجديدة بين **شجر الدر** والصليبيين وجدت السلطانة معارضة كبيرة من بعض الأمراء الذين لم يرضوا بذلك فأنضموا لغيرهم من المعارضين، وكانت **القاهرة** قد قام فيها شيخ الإسلام **العز بن عبد السلام**

(24) أول سلاطين الدولة المملوكية نُصّب سلطانًا على مصر في عام 1250 بعد أن تزوجته وتنازلت له عن العرش شجر الدر أرملة الصالح أيوب، وبقي سلطانًا على مصر إلى أن قتل بقلعة الجبل في عام 1257. كان من أصل تركماني.

(25) وأعتلى منابرهما منددا بولايتها موضحا للمسلمين عواقب ولاية المرأة عليهم .

[السيوطي - حسن المحاضرة 34]

قامت المظاهرات في القاهرة وحدثت الاضطرابات مناهضة لحكمها ، فعمد القيمون على الدولة إلى غلق أبواب المدينة للحؤول دون تسرب أنباء الإضطرابات إلى الخارج .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 40]

وأما في الشام فقد أنقضت عرى الوحدة بين مصر والشام بعد رفض أمراء دمشق البيعة **لشجر الدر** ثم أكتمل الفصل بعدما خرج **الناصر يوسف** (26) من حلب بعساكره قاصدا دمشق فوقعت بين يديه دون عناء بعدما فتح لهم الأمراء أبواب المدينة وأما في غزة فقد أستولى عليها الملك **السعيد حسن بن العزيز عثمان** وملكها .

[المقريزي- السلوك 463/1]

كذلك الأمر في الكرك والشوبك فقد صار نائبها الطواشي **بدر الدين لؤلؤ** (27) إلى الشوبك وأخرج الملك **المغيث عمر بن العادل** من الحبس وملكه أعمالها وحلف له الناس .

(25) قال ابن العماد: « الإمام العلامة ، وحيد عصره ، سلطان العلماء... برع في الفقه والأصول واللغة العربية ، وفاق الأقران والأضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف الناس ومآخذهم ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد ، وصنف التصانيف المفيدة » .

(26) آخر ملوك بني أيوب صاحب حلب ودمشق لما سمع هولاكو بهزيمة عين جالوت غضب وتنكر للناصر ، وقتله ، وقيل: خصه بعذاب دون رفاقه .

(27) كان بطلا شجاعا حازما مدبرا سائسا جبارا ظلوما ، ومع هذا فكان محببا إلى الرعية ، فيه كرم ورئاسة ، وكان من أحسن الرجال شكلا ، وكان يبذل للقصاد ويداري ويتحرز ويصانع التتار وملوك

[بدر الدين العيني- عقد الجمان 33/1]

بل وتواترت الأخبار على وحدة الصف الأيوبي في الشام وتوجههم إلى مصر- تحت قيادة **الناصر يوسف** ، وهكذا تضععت الأوضاع في بلاد الشام وخرجت من قبضة **شجر الدر** وتجددت المنافسة المريعة بين **القاهرة** و**دمشق** .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 41]

اغلقت الأبواب كلها تجاه السلطنة وتجاه البحرية فأتجهوا نحو بغداد لاطفاء الصفة الشرعية على حكمهم ولكن خاب أملهم حينما رد الخليفة العباسي على رسالتهم بقوله : " ان كانت الرجال قد عدت عندكم فأعلمونا حتى نسير لكم رجالا "

[المقريزي - السلوك 468/1]

لم يجد البحرية مفر من كل هذا إلا البحث عن إقامة رجل يزاحم بمنكبه المناكب ويباهي بموكبه المواكب ويقوم بتدبير البلاد والعباد ويحسم مادة الفساد والعناد ويبنى الملك على الأساس والعماد .

[بدر الدين العيني- عقد الجمان]

فخلعت نفسها في يوم 29 ربيع الآخر 648هـ بعد **ثمانين يوما** وأختار الأمراء **عز الدين أيبك الجاشنكير** فبويع بالسلطنة وتزوجته في نفس اليوم .

الإسلام ، وكان عظيم الهيبة خليقا للإمارة عاش قريبا من تسعين سنة ووجهه مورد وقامته حسنة ، يظنه من يراه كهلا ، يعظم أعياد النصارى وبعدها انفصل هولاكو عن بغداد بعد الوقعة الفظيعة ، سار بدر الدين لؤلؤ لخدمته وطاعته وحمل معه الهدايا وتلطف به وقدم تحفا جليلة ، منها جوهرة يتيمة ، وطلب أن يضعها في أذن هولاكو فاتكأ ففرك أذنه ، وأدخل الحلقة في أذنه ثم رجع إلى بلاده متوليا من قبله ، وقرر عليه مالا يحمله ، ثم مات في ثالث شعبان بالموصل سنة سبع وخمسين وست مائة .

[المقريزي - السلوك 469]

أجلسوه على الملك ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر ثم رأوا أنه لابد من إقامة شخص من بيت **نجم الدين أيوب** ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله ، فأجتمع الأمراء وأتفقوا على إقامة **الملك الأشرف** وله من العمر ست سنين شريكا **لأيوب** في الحكم على أن يقوم **أيوب** بتدبير الدولة وأن ليس **للأشرف** من الشراكة إلا الإسم وجميع الأمور بيد **المعز عز الدين أيوب** .

ثم نودي بعدها بثلاث أيام في القاهرة أن البلاد للخليفة **المستعصم بالله العباسي** ⁽²⁸⁾ وأن الملك **المعز** نائباً له .

[المقريزي - السلوك 464/1]

ثم دارت الفتن بين **أيوب** و**الأيوبيين** ففي بداية عام 648 هـ قدمت عساكر **الناصر يوسف** إلى غزة فخرج اليها **الفارس أقطاي** مقدم المماليك البحرية بألفي فارس فلم يرجع إلا وهو منصور على **الناصر** ورجاله .

[المقريزي - السلوك 466/1]

وفي العام التالي سير الملك **المعز الفارس أقطاي** إلى غزة ثانيه فملكها وبعد عام أستولى على **الساحل ونابلس** .

ثم ما تزال رسل الخليفة العباسي على رأس كل عام تجيء وترحل من القاهرة إلى بغداد للصالح بين **المعز والناصر** حتى تم ذلك في عام 651 هـ .
نجح الخليفة ، على أن تكون سلطة **المماليك** من **نهر الاردن والقدس ونابلس والساحل** وتكون بقيه مناطق الشام **للأيوبيين** فكان هذا الاتفاق بمثابة الاعتراف الرسمي من **الدولة الايوبية بدولة المماليك** .

[العصر المملوكي 190 - مفيد الزيدي]

(28) آخر خليفة عباسي في بغداد . حكم بين عامي 1242 و1258 بعد أبيه المستنصر بالله . في عام 656 هـ /1258 ، غزا المغول الدولة العباسية تحت قيادة هولاكو خان . بعد أن سقطت بغداد في أيديهم ، أعدم هولاكو المستعصم وانتهت الخلافة العباسية بسقوط بغداد .

وفي مصر كثرت ثورات العربان على حكم **المعز ايبك** فتبعهم **فارس الدين أقطاي** بفرسان المماليك يقتلون ويأسرون ، وتبدد كل عرب مصر وخمدت جمرتهم من حينئذ .

[المقرئزي - السلوك]

كان العربان قد ثاروا بعد العودة من المنصورة ومالوا إلى الفتنة ونهب البلاد ، فبعث السلطان **المعز** بمئتان فارس بقيادة **أقطاي** و**بيبرس** يومئذ بينهم فأوقع بهم أشد نكال وأرمل الحلائل وفتك بالرجال وهجم بنفسه على **ابن حاتم** قائد العربان وزعيمهم فقتله وأحضر رأسه على رمح .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 51]

" لما عظم قدر **أقطاي** في الديار المصرية وأستولى على الأمور كلها ، وصار ليس **للمعز** مع البحرية أمر ولا نهى ولا حل ولا عقد ، ولا يسمع أحد منهم له قولاً ، واجتمع الكل على باب الأمير **فارس الدين أقطاي** ، وبقيت الكتب إنما ترد من **الملك الناصر** وغيره إليه ، ولا يقدر أحد يفتح كتاباً ، ولا يتكلم بشيء ولا يبرم أمراً ، إلا بحضور **أقطاي** لكثرة خشداشيته " .

[المقرئزي - السلوك 493/1]

ثم جاءت القاضية عندما تزوج **أقطاي** بابنة **المظفر** صاحب حماة فطلب القلعة من **المعز** ليسكن فيها فغضب **المعز** وغضبت زوجته ، وشق عليه ذلك، هنا ثقل **أقطاي** على **المعز** واخذ يتحيل لقتله وبات يضر له السوء وهو يومئذ كبير البحرية .

لم يحفظ **المعز** للفارس صنعته التي حفظ بها البلاد ، نسي له بطولاته يوم المنصورة وقيادته للجيش في معركة غزة بل نسي له أنتصاراته على العربان. يوم الأربعاء ثالث شعبان أرسل **أيبك** إلى **أقطاي** ليحضر إليه بقلعة الجبل في مشورة يأخذ رأيه فيها فركب على غير أهبة ولا استعداد فلما دخل من باب القلعة وصار بداخلها أغلق الباب ومنع مماليكه من العبور فخرج عليه **قطز وبهادر وسنجر** فقتلوه ، فركب في الحال من أصحابه **سبعمائه** فارس ووقفوا تحت القلعة وفي ظنهم أنه لم يقتل إنما قبض عليه وأنهم يأخذونه من **المعز** .

لما بلغ ركن الدين أن أمرا ما قد وقع بالقلعة قطع بموت الأمير فارس الدين أقطاي ، وقف ببيرس وسنقر الأشقر وبيسري وسكز وبرامق فلم يشعروا إلا ورأس أقطاي قد رمى بها المعز اليهم ، فسقطت في أيديهم فتفرقوا جميعا .

اجتمع ركن الدين بالامراء فجعل كل أحد يشير إلى رأي ، فخرجوا من الليل من القاهرة فحرقوا باب القراطين فعرف بعدها بالباب المحروق . فلما أصبح الصبح سافر في جماعة من أهل النجدة يتبعونه في الرخاء والشدة وأصبح الصبح ولم يقع أحد له على خبر ولا رأى احد له ولا لهم اثر.

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 54]

وجدير بالذكر أن حادثة قتل أقطاي ستلقي بظلالها على الدولة المملوكية حتى سقوطها ، وعلى الرغم من أن دماء أقطاي ذهبت أدراج الرياح إلا أنها كانت الحبر الذي كتب به قانون الدولة ، من ترسيخ لمبدأ سيادة الأقوى دون خجل أو موارد ، مما جعل الشرعية للذي يستطيع أن يفرض نفسه .

[هاني فخري - النظام العسكري 34]

لما جرى ما جرى في الليلة التي قطعت فيها رأس أقطاي وهرب المماليك البحرية من الديار المصرية عبر الباب المحروق ، أصبح المعز وقد بلغه هروبهم من المدينة فأمر بالحوطة على أملاكهم وأموالهم ونسوانهم وغلمانهم وأتباعهم.

[بيبرس المنصوري - زبدة الفكرة 360]

قبض على من بقي منهم ، قتل بعضهم وحبس باقيهم ، وظفر للفارس أقطاي بأموال عظيمة ، أصبح كل متأخر يؤخذ ويهان حرمة وحرمة ويسلب الحاضر ويقيد والغائب يرسل خلفه فيمسك فأمثلات بهم الأقباس والأجبان ، ونودي في القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحد من البحرية ، فتمكن عند ذلك المعز .

لم يكتفي **المعز** بتشيدهم في البلاد ولا بمصادرة الأموال والأموال بل راح يلاحق من بقي منهم بالسجن وأما من فر فقام بمراسلة من لجأوا إليه بالتحذير منهم والتشديد على طردهم.

لما علم **المعز** بوصول **بيبرس وبلبان وقلوون** ⁽²⁹⁾ وغيرهم إلى **الناصر يوسف** خاف غائلتهم ، وكتب إلى **الناصر** يوهمه منهم ، ويخوفه عاقبة شرهم ، وما زال به حتى فرض عليه تسريحهم ، وأما من كانوا عند سلطان **الروم** فكتب اليه الملك **المعز** : " بأن البحرية قوم مناحيس أطراف ، لا يقفون عند الأيمان ، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم ، وإن استأمنتهم خانوا ، وإن استحلقتهم كذبوا ، وإن وثقت بهم غدروا . فتحرر منهم على نفسك ، فإنهم غدارون مكارون خوانون ، ولا أمن أن يمحروا عليك ."

فلما زال ظل **الفراس أقطاي** أحرقتهم شمس الحتوف وتجاسر عليهم من كان لا يتجاسر أن يكلم أحدا منهم بكلمة وصارت الأرض لا تسع الهارب ويود كل منهم لو قبر حيا حتى يستريح من تلك الذلة وذلك الخوف ، فأستغنى بأموالهم كل فقير وسكن أملاكهم كل طريد.

فنزل **السلطان الظاهر** عند **الملك الناصر يوسف** صاحب دمشق هو وجماعة من اصحابه البحرية ففتحوا له الكثير من البلاد واستولوا عليها ، كل ذلك **والملك الناصر** يحسن اليهم حتى وصل **نجم الدين البادرائي** رسول بغداد فأصلح بين **الناصر وبين الملك المعز** فأشتغل **الناصر** عنهم وتغير عليهم وضاعت بهم الأموال ثم خرجوا إلى الكرك عند **الملك المغيث**

(29) أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية و رأس أسرة حكمت مصر مايزيد على قرن من الزمان ، كان من رجال الملك الصالح نجم الدين أيوب. وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة ، وعلا شأنه بعد ذلك ، فكان من كبار الأمراء في دولة الظاهر بيبرس ، وبويع له بالسلطنة في الحادي عشر من رجب سنة 678هـ خلفاً للملك العادل بدر الدين سُلَامش.

فقصدوا ملك مصر ، حتى وصلوا العريش فقابلهم **قطز** في طليعة جيشه ففعل بهم **ركن الدين** ما لم يفعله عنتره في الجاهلية ولا ابطال الإسلام فشفي غليله .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 61]

صار يوم في ثلاثة انفس بغير زاد لا يأكلون الا الشعير ويستفون الدقيق . وأقام ثلاثه أيام ما أكل شيء ، ووجد قطعة سكر فلم يجد شيئاً يذيقها فجعلها في فمه وبلها بريقه فأرسل **الله** سبحانه وتعالى مطرا ولم يكن معه ما يشرب به والأرض رمل لا يجتمع فيها ماء فوجد السلطان حافر فرسه قد اجتمع فيه ماء فشرب منه ووجد يسير تبني في مكان لو كانت فيه جبال رمال لأذهبتها الرياح كأن **الله** أرسله له رفقا به ولطفا فنزل السلطان وشكر **الله** وجعل ذلك في طرف قبائه وأطعمه فرسه وكان ذلك سبب السلامة .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 61]

بقي الامر على ذلك سنين ودار ما دار بين **ايبك** و**شجر الدر** وقتل الاثنين فأقام أمراء الدولة **المنصور علي بن ايبيك** سلطانا وعمره خمسة عشرة سنة ، وأقيم **سيف الدين قطز** ⁽³⁰⁾ نائبا للسلطنة على عادته .

كان **المنصور** شابا أهوج كثيرا ما كان يشغله لعبه بالحمام ومناقرة الديوك ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير ومناطحته الكباش .

فلما جاءت سنة **SRS هـ** ودخل **التتار** بغداد هروا اليهم **الناصر يوسف** صاحب دمشق وأرسل ابنه **الملك العزيز** إلى **هولاكو** ⁽³¹⁾ يسأله في نجدة ليأخذ مصر- من

(30) بطل معركة عين جالوت وقاهر التتار ، يعد أحد أبرز ملوك مصر على الرغم من أن فترة حكمه لم تدم سوى أقل من عام واحد ، حيث نجح في إعادة تعبئة وتجميع الجيش الإسلامي، وإيقاف زحف التتار ولاحق فلولهم حتى حرر الشام بأكملها من سلطتهم .

(31) حفيد جنكيز خان احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا بعد أن قتل الملايين من أهلها، وتوسع جيشه كثيرًا بالجزء الجنوبي الغربي للإمبراطورية المغولية

المماليك فلما قدم **الملك العزيز بن الملك الناصر** من عند **هولاكو** ، وعلى يده كتابه : " الذي يعلم به **الملك الناصر** صاحب حلب أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف **الله** تعالى ، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها ، إذا وقفت على كتابي هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض **شاهنشاہ** ، تأمن شره وتتل خيره".

إنزعج **الناصر** وسير حريمه إلى الكرك وخاف الناس بدمشق خوفاً كثيراً لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات ، وسار كثير منهم إلى **مصر** - ، وبعث **الناصر** عندما بلغه توجه **هولاكو** نحو الشام **بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم** إلى مصر ، يستنجد بعسكرها .

[المقريري - السلوك]

فلما قدم القاهرة " **ابن العديم** " رسول **الملك الناصر يوسف** وأعلمهم بما علموا من قرب قدوم التتار **مصر** ، عقد المجلس في القلعة عند **الملك المنصور** وفي حضور الامراء وقاضي القضاة **والشيخ العز بن عبد السلام** ، فسئل يومئذ **شيخ الإسلام** عن أخذ مال العامة ونفقتها على العساكر فأجاب : " اذا لم يعد في بيت المال شيء أو أنفقتم الحوائص الذهب ونحوها من الزينة وساويتهم العامة في الملابس سوى الات الحرب ، ولم يبق للجندي إلا فرسه التي يركبها ، ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء " فأنفضوا .

وقد اجتاحت المغول تحت قيادته بغداد عاصمة الخلافة العباسية .

الفصل الخامس:

بيبرس في عين جالوت



بيبرس وبطولته في عين جالوت :

أنبثق فجر القرن السابع الهجري الثالث عشر- الميلاي والشرق الإسلامي يستعد لإستقبال تلك الجيوش المغولية الجرارة التي إندفعت نحوه من شمال آسيا الشرقية .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 62]

نجح جنكيز خان في بناء إمبراطورية مترامية الأطراف من حدود بلاد الصين شرقا وحتى البحر الأسود غربا ثم ما لبث حتى بدأ في العمل على أتساع رقعة مملكته حتى وصل على حدود البلاد الإسلامية وتحديدًا عند حدود أقاليم بلاد ما وراء النهر وأخذ قرار دم عاصمة له .

[عصر سلاطين المماليك - قاسم عبده قاسم 54]

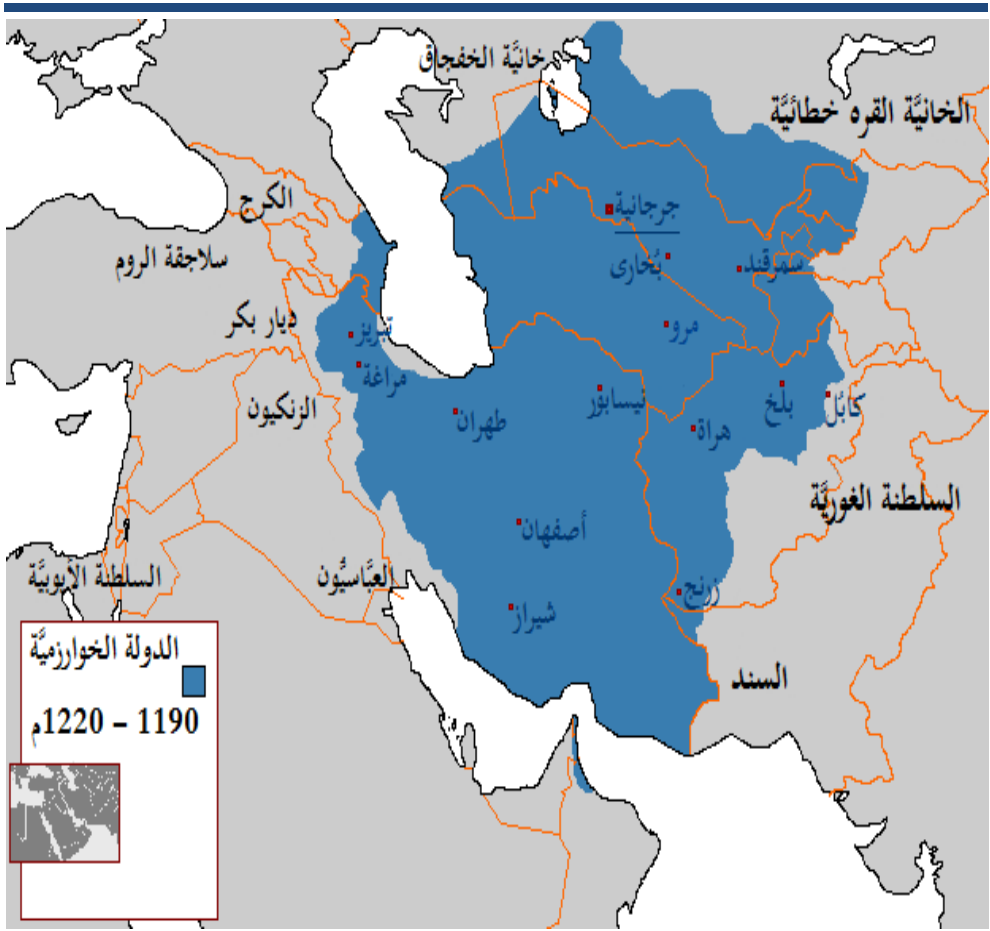
كانت تلك البلاد خاضعة لحكم الخوارزميين الذين اخذت رقعتهم تتوسع على حساب دولة السلاجقة الذين نشؤوا في كنفهم ، وبايعاز من الخليفة العباسي الذي كثيرا ما أستغلهم في حروبه ضد السلاجقة فنجحوا في ذلك . حلت دولة الخوارزميين مكان دوله السلاجقة في إيران والعراق ، ولم يكتفوا بذلك بل صاروا يتدخلون في أمور الخلافة وعزموا الإستيلاء على بغداد .

إزاء ذلك قام الخليفة العباسي الناصر من الحد من أطماع الخوارزميين بالإستعانة بالزعيم المغولي جنكيز خان .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 64]

فكان الناصر بذلك الفعل هو الذي أطمع التتار في بلاد الإسلام فهو الطامة الكبرى الذي يصغر عندها كل ذنب عظيم .

[ابن الأثير- الكامل 2/9]



رغم هذا الفعل الشنيع من خليفة المسلمين إلا أن **جنكيز خان** لم يعر
بمراسلات الخليفة أي إلتفات وقام بعقد معاهدة تجارية مع **الخوارزميين** .
غير أن أطماع **علاء الدين بن خوارزم شاه** في القضاء على **المغول** حالت
دون سريان تلك المعاهدة .

فيذكر أن أحد قوافل **المغول** حطت رحالها ذات يوم للإتجار في الأسواق
الخوارزمية وبالتحديد في مدينه **أوتار** الواقعة على نهر **سيحون** فقام
حاكمها بقتل جميع أفرادها وسلب البضاعة .

غضب قائد **المغول** لذلك وأرسل الرسل طالبا من السلطان **علاء الدين بن**
خوارزم شاه تسليمه حاكم المدينة .

رفض **علاء الدين** وقام بقتل الرسول الموفد وأهان رفيقه بحلق لحيته .

[عصر سلاطين المماليك - قاسم عبده قاسم 55]

فكانت المواجهة التي لا مفر منها ، أندفع بعدها **المغول** كالسيل الجارف تحدوهم الرغبة في الإنتقام من ولاة الأمور في البلاد الإسلامية . جيش جرار عتاده **مائتي ألف** مقاتل **مغولي** توجهوا نحو الأقاليم الإسلامية الخوارزمية ، هرب **علاء الدين إلى خراسان** تاركا بلاده لقمة سائغة في فم **المغول** فدخلوها بعد ثلاثة أيام من الحصار .

خلف **محمد** ابنه **جلال الدين** . لقد كان **جلال الدين** ملكا شجاعا مقداما كثيرا ما صد هجمات التتار على بلاده ، وطالما كانت معاركهما سجال ، ولكن كان وحيدا بطانته واهية بل مات غيلة على يد أحد الرعية ولكن يحمد له أنه آخر أجتياح التتار لعاصمة الخلافة مدة ليست باليسيرة ، كثيرا ما أذاق **المغول** العذاب ولقى هو وجنده الأهوال في البراري الواقعة بين **الهند وكرمان** .

دفعت عائلة **جلال الدين** ثمن جهاده وأنتقم منهم **جنكيز خان** يبيع بعضهم كرقيق وبقتل الآخر حتى إن ابن **جلال الدين** قتل بين يديه . وبعد ثلاث سنوات قضى **المغول** على كل أراضي **الخوارزميون** وقتل **جلال الدين خوارزم شاه** .

[ابن واصل - مفرج القلوب 314]

سار التتار بعد مقتل **جلال الدين** فأحتلوا **فارس** كلها دون أن يجدوا مقاومة تذكر ثم عاد **جنكيز خان** بجيشه إلى بلاده تاركا بلاد المسلمين خرابا خاوية على عروشها ، فلما عاد أنشغل في صراعاته الداخلية حتى



مات 624 هـ .

أنتخب مكانه ابنه **أكتاي** خانا أعظم 626 هـ - 1229 م ، فعمل على المضي-
قدما في إتجاه ما بدأه أبيه في التوسع نحو الغرب لإخضاع ما بقي من
العالم الإسلامي .

ما بين عامي 1229 و 1249 م وفي خلال حكمي **أكتاي خان وكيوك خان**
توجهوا نحو **أذربيجان** فاستولوا على **فراغة وتبريز** ثم أجهزوا على المدن
الواحدة تلو الأخرى حتى أضافوا إلى أملاكهم شمالي **فارس** و**أذربيجان** ثم
استأنفوا زحفهم نحو أواسط آسيا وبلاد **الكرج والقوقاز وروسيا وآسيا**
الصغرى ، غير أنهما لم ينجحا في حروبهما ضد الخليفة العباسي .

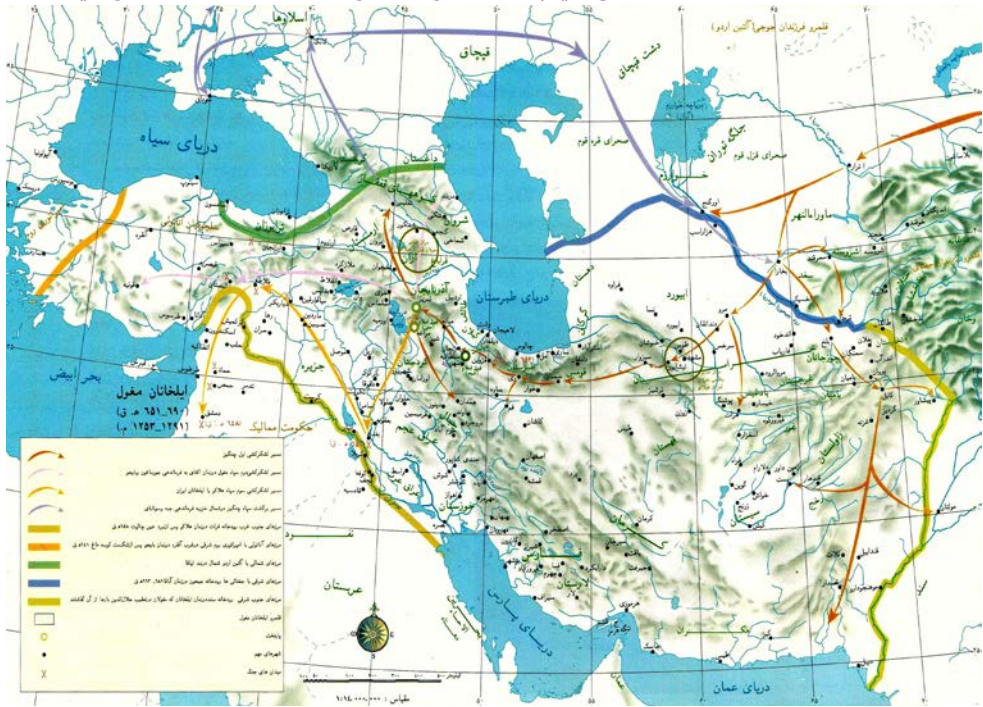
وبعد وفاه **كيوك خان** 647 هـ - 1259 م **بعام** أنتخب **منكو خانا** اعظم
للمغول فجعل نصب عينيه السيطرة على ما تبقى من العالم الإسلامي
حتى أقاصي مصر ، بدأها بعاصمة الخلافة .

كانت الأوضاع في العراق آنذاك سيئة للغاية يشوبها صراعات بين **مجاهد**
الدين ايبك وبين **مؤيد الدين ابن العلقمي** ⁽³²⁾ الشيعي وزير **المستعصم** .
فعمد **ابن العلقمي** إلى مراسلة **هولاكو** وأطمعه في ملك بغداد .

[ابن كثير- البداية والنهاية 201/13]

دخل قائد **المغول بغداد** متخفيا في زي تاجر عجمي ومعه حمل حرير
فاجتمع بالوزير **ابن العلقمي وابن الدردسوس** نديم الخليفة وأكابر الدولة
وكانوا قادرين على مسكه ولكنهم خانوا **الله** ورسوله ودين الإسلام ، قاتلهم
الله ثم خرج بعدما اتفق معهم ، عقد الاتفاق السري والخليفة في لهوه لا
يعبأ بشيء .

(32) وزير الخليفة العباسي المستعصم ، رتبَ مع
هولاكو قتل الخليفة واحتلال بغداد ، على أمل أن
يسلمه هولاكو إمارة المدينة ، إلا أن هولاكو أهانهُ
وقَتَلهُ بعد تدمير بغداد . يقول الزركلي : « وهناك
روايات بأن ابن العلقمي أهين على أيدي التتار ،
بعد دخولهم ، ومات غما في قلة وذلة »



كان **منكو خان** قد عهد إلى أخيه الأصغر **هولاكو** بالمسير تجاه بلاد المسلمين ليفتح غرب إيران وبغداد والشام ومصر قائلًا له :
 " إنك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها فأفعل بإسمك إلى الشمس الساطعة وحافظ على تقاليد جدنا **جنكيز خان** وقوانينه وخص كل من يطيع أوامرك ويتجنب نواهيك في الرقعة الممتدة من نهر جيحون وحتى أقاصي بلاد مصر بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وكل ما يتعلق به وابدأ بإقليم قهستان في خراسان فخرّب القلاع والحصون . فإذا فرغت من هذه المهمة فتوجه إلى العراق فإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض لها مطلقا ، أما إذا تكبر وعصى فألحقه بالآخرين من الهالكين " .
 تحرك **هولاكو** نحو بغداد وفي طريقه إليها دخل تركستان فسارع صاحبها الأمير **مسعود** بتقديم فروض الطاعة ثم نزل سمرقند فأقام له الأمير المذكور خيمة منسوجة بالذهب حتى عبر نهر **جيحون** قاصدا اسوار

المنصورية حتى وصل إلى قهستان فأباح فيها القتل والغارات ثم إستولى على طوس وقوجان .

عند ذلك أظهر نيته بضم بلاد الاسماعيلية بلاد **حسن الصباح** ⁽³³⁾ فراسل صاحبها **خرشاه** يطلب منه الطاعة وتسليم القلاع فأظهر الخضوع والطاعة وأكرم الرسل فراسله أخرى يطلب منه أن يخرب قلاع فخر بها وكانت تزيد عن المائة قلعة .

ثم سار **هولاكو** نحو همذان سنة 655 هـ ، أرسل الخليفة **لهولاكو** الرسل يحذره أن الجيوش العباسية المظفرة كانت قد أخضعت كل الذين قمردوا عليها أمثال **الصغار والبساسيري ومحمد السلجوقي ومحمد خوارزم شاه** . لما وصلت الرسالة إلى **هولاكو** أستثار غضبا وأعاد الرسل قائلا لهم : " ليذهب خليفة بغداد وليصنع من الحديد والمدن والأسوار وليرفع الأبراج من الفولاذ وليجمع جيشا من المردة والشياطين فلسوف التقى به وبجيشه وسأنزله ولو كان في السماء وسأدفع به قهرا إلى أفواه السباع " .

في التاسع من المحرم 656 هـ أستولى **هولاكو** على جانب شاطئ نهر دجلة ، تدفق الجيش المغولي كالجراد من كل جهة وناحية وحاصروا أسوار **بغداد** . صادف المغول خلافة فقدت سلطانها القديم بحيث أصبح نفوذها نفوذا قاصرا على العراق العربي ومع ذلك فقد كان نفوذهم في هذه الرقعة الضيقة أيضا لا يعد أن يكون نفوذا دينيا ، إذ كانت العناصر الفارسية والتركية فضلا عن الحركات الدينية الهدامة قد حدت تدريجيا من نفوذ الخلفاء ففقدوا نفوذهم السياسي في أقاليم الدولة العباسية بل وفي **بغداد** نفسها وتعاقب على حكم هذه الأقاليم عدد كبير من الحكام والأسرات تنازعو السلطة فيما بينهم دون ان يقيموا وزنا للخليفة ، ونتج عن ذلك

(33) كان شيعيًا اثنا عشريًا وبعدها اعتنق المذهب الإسماعيلي في سن السابعة عشر. كان يلقب بالسيد أو شيخ الجبل هو مؤسس ما يعرف بالدعوة الطائفة الإسماعيلية النزارية أو الباطنية أو الحشاشون حسب التسمية الأوروبية .

أن أصبحت البلاد الإسلامية عندما تطلع إليها المغول أشبه ما تكون بأشلاء متناثرة .

[الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي 7- حافظ احمد حمدي]

سته أيام من الحرب الطاحنة حتى تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية وبعد حصار ضار ومحاولات لصدّهم يئس الخليفة وأعلن أنه سيستسلم وأرسل **فخر الدين الدامغاني** إلى **هولاكو** بصحبة الهدايا وجماعه من رجال الدولة وابنه **عبد الرحمن** فردهم **هولاكو** جميعا ثم خرج جمع من رجال الدولة وعدد كبير من الجنود معلّنين طاعتهم ، تقسموا الوفا ومئات وعشرات فردهم المغول جميعا .

هرب أهل **بغداد** إلى الأنفاق ومواقد الحمامات وفي يوم الأحد 4 صفر سنة 656 هـ خرج الخليفة بآبنائه الثلاثة ومعه ثلاثة الاف من السادات والقضاة والأكابر والأعيان إلى **هولاكو** فسلم نفسه له دون قيد أو شرط ، فلما قابلهم كلم الخليفة بالحسنى ووعدّه بالأمان ثم أمر سكان المدينة أن يضعوا أسلحتهم وان يخرجوا لكي يحصيهم .

ألقي الناس أسلحتهم زمرا زمرا فقام المغول بقتلهم جماعة بعد جماعة ، ثم دخل **المغول بغداد** ، بدأ السلب وراح الجنود يحرقون الأخضر واليابس ويلقون بالكتب في نهر دجلة .

وفي يوم الخميس خامس عشر صفر قتل الخليفة وجرت جثته تحت أسوار **بغداد** تماما كما فعلوا في **بخارى** و**سمرقند** و**نيسابور** وغيرها .

رأى المسلمون أن العالم على وشك الانتهاء وأن الساعة آتية قريب .

بعد سقوط **بغداد** إتجه **هولاكو** نحو **آمد** و**نصيبين** و**حوران** وبعدها نحو **ماردين** ورغم بسالة صاحبها **الملك السعيد نجم الدين** وصموده على أبوابها إلا أنها لحقت بسابقيها بعدما مات من الطاعون فسلمها لهم ابنه **المظفر** ، عندئذ أصبح الهدف القادم للتتار بلاد **الناصر يوسف** .

فلما توالى اخبار العدو التتري بقصد الشام صار **ركن الدين بيبرس** يعرض نفسه على **الملك الناصر** ويقول له لو جهزت معي عسكريا فيه ثلاثة الاف فارس إلى العدو والمكان الذي هم فيه فلم يقبل **الناصر يوسف** .

وكان المصائب تأتي إلى **الناصر** تترًا ، ابنه **العزیز** الذي أرسله منذ مدة **لهولاكو** يستعطفه في إرسال الجنود لمساعدته في محاربة ممالك مصر- ، عاد إليه بخفي حنين ، عاد ومعه رسالة يبشره فيها بقدومه للإستيلاء على بلاده.

عقد الناصر مجلسه للمشورة ، كان من ضمن الحضور بعض رجال البحرية على رأسهم سيدهم **الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري** . رأى رجال **الناصر** مدارات **المغول** والدخول تحت طاعتهم فصاح **بيبرس** وردهم ثم رحل هو ومن كان معه من البحرية .

لما يئس **بيبرس** من **الناصر** صار إلى غزه ثم سير إلى الديار المصرية الأمير **علاء الدين طيبرس الوزيري** ⁽³⁴⁾ إلى الملك **المظفر سيف الدين قطز** فاستوثق منه وحضر إليه وفي صحبته جماعة من خشداشيته .

لما وصل **الصاحب كمال الدين بن العديم** رسول الملك **الناصر يوسف** إلى مجلس السلطان **المنصور** ، عندئذ وجد الأمير **سيف الدين قطز** سبيلا للقول وأخذ ينكر على الملك **المنصور** وقال : " لا بد من سلطان ماهر قاهر يقاتل هذا العدو والملك المنصور صبي صغير لا يعرف المملكة " .

و الدولة التي يحكمها **سلطان** في سن الصبي بدت واهنة وضعيفة غير قادرة على تحمل مؤمرات الصغار ولعبهم بأقدار البلاد والعباد ثم بدأ صدى طبول الحرب التترية يتردد على حدود السلطنة الوليدة .

[قاسم - قطز - المقدمة]

لم يكن بوسع السلطان الصبي أن يفعل شيئًا إزاء هذا الخطر الداهم فقد كان يقضي وقته في ركب الحمير والتنزه في القلعة ويلعب بالحمام مع

(34) علاء الدين طيبرس الوزيري الصالحي النجمي، كان من الأمراء الأكابر المشهورين بالخير والشجاعة . لازم صحبة الملك الظاهر قبل أن يملك وبعد أن ملك. له أوقاف للبر بمصر والشام . توفي سنة ٦٨٩ هـ .

الخدم ، ومع كل خبر جديد عن وحشية التتار كانت الأحوال تزداد اضطرابا والقلق يفترس النفوس ، كانت الاحوال على قدر من التردى والتمزق ، عندها تعين على الامير سيف الدين أن يخطو الخطوة الأخيرة نحو العرش .

"حان الوقت ان يكون صاحب النصر وصاحب سلطان مصر وأن يجلس على سرير الملك ، فالتتار القادمين إلى بلادنا لابد لهم من قتال والقتال لا يتأتى بغير ملك " هكذا قال للأمراء الظانين بطمعه في السلطنة وقال لهم أيضا : " اذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم أقيموا في السلطنة من شئتم " .

بهذا أخذ سيف الدين يرضي الأمراء حتى يتمكن فرضي من رضى ، وأما من أستعصى عليه فكان السجن ملجأ له .

وصلت الأخبار إلى القاهرة وأشيع بين الناس أن هولاكو نزل مدينة حلب وأرسل إلى المعظم توران شاه بن الناصر فأبى إلا محاربته فحاصروها سبعة أيام وأخذوها بالسيف وقتلوا خلقا كثيرا واسروا النساء ونهبوا الاموال وأستباحوا دماء الخلق حتى أمتلأت الطرقات بالقتلى فصارت عساكر التتر تمشي على جيف من قتل .

[المقرئزي - السلوك 511/1]

ووصلت الأخبار ان الناصر وعسكره قد تركوا دمشق وتركوا أهلها يدعون عليهم : " تركتمونا طعمه للتتار لا كتب الله عليكم السلامة " .

وان أمراء دمشق سلموا المدينة ومفاتيح أبوابها إلى هولاكو وأظهروا له الطاعة فدخل دمشق بلا حصار ولا قتال ، وأن هولاكو ملك ماردين وقتل أمراؤها وخرّب الأسوار ، وأن المغول قد زاروا بجرمهم نابلس وغزه وبيت جبريل وبعلبك وبانياس. علموا ما فعله النصارى بالمسلمين لما مال إليهم التتار .

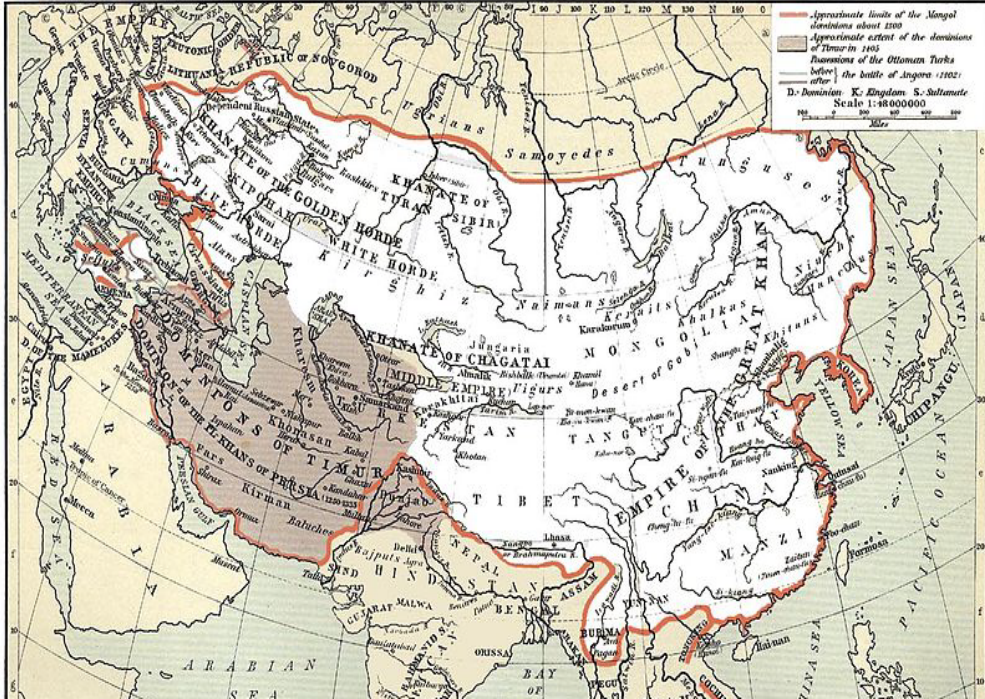
حكي في شوارع القاهرة ان مسيحي الشرق تجولوا في البلاد وصلبانهم مرتفعة يرشون الخمر على ثياب المسلمين وأبواب المساجد وقالوا جهرا ظهر الدين الصحيح دين المسيح .

[المقريزي - السلوك 5/2]

أيقن الناس بعد وقوع **حلب ودمشق وحماه** أن استيلاء المغول على بقية بلاد الشام مسألة وقت ، وأن الجميع واقع بأيديهم لا محالة ، عندئذ خيل للناس ان العالم على وشك الإنتهاء وأن الساعة اتية عن قريب وصار القلق يفترس النفوس وعم الرعب .

بات المغول لا يفصلهم على القضاء على حكام المسلمين سوى **ممالك مصر** فالذي يليهم دويلات متشرذمة في شمال **افريقيا** قد تمزق شملهم بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب ، بعدهم قسمت بلاد المغرب بين عشائر بني مرين فاتخذ **ابو يحيى** فاس والمغرب الأقصى **وبنو عبد الواحد** المغرب الأوسط واتخذ **وبنو ابي حفص** افريقية.

[المقريزي - السلوك 501/1]



لم يتبقى الا أم البلاد ، فهرب الناس خارج **مصر** ، هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى **المغرب** وهرب جماعة إلى **اليمن والحجاز** والباقون بقوا على وجل وخوف شديد يتوقعون دخول العدو وأخذ البلاد .

[ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة 87/7]

أمر داعي الجهاد بالنداء في كافة الديار المصرية وأعلن النفير العام إلى الجهاد في سبيل الله . طاف بالمدينة منادى يبلغ الناس بجمع الزكاة لتجهيز مؤن الجند وأحتياجات الجيش .

لم يكتفي **المظفر** بذلك بل عمل على استقطاب وحدات من جيش **الناصر** كما ضم إلى قواته من تبقى من القوات الخوارزمية وقوات من قبل أمير الكرك الأيوبي وقام باستقبال كثير من المماليك البحرية بقيادة **بيبرس البندقداري** إضافة إلى جموع الخوارزمية وعسكر بلاد الشام الفارين من وجه المغول فاجتمع عنده من العساكر أربعين الفا .

نفذ فتوى سلطان العلماء وأحضر هو والامراء ما عندهم من حلي وأموال ووضعها بين يدي الشيخ **ابن عبد السلام** .

[ابن واصل - مفرج القلوب 392/2]

قرأ **سيف الدين قطز** الرسالة التي ارسلها هولاء على الأمراء ، فلما انتهى قال لهم ماذا ترتئون رد **ناصر الدين قميري** : " ان **هولاء** فضلا على انه حفيد **جنكيز خان** فإن شهرته وهيبته غنية عن البيان وان البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها في قبضته الآن ، فلو ذهبنا نطلب منه الأمان فليس في ذلك عيب ولا عار ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت امران بعيدان عن حكم العقل انه ليس للانسان ان يطمئن اليه فهو لا يتورع عن احتراز الرؤوس ولا يفي بعهده وميثاقه ، فإنه قتل فجأه الخليفة وعددا من الأمراء بعد أن أعطاهم العهد والميثاق ، فإذا سرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل " .

قال قطز : "والحالة هذه فإن كافة ديار بكر وريقة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع واصبحت البلاد من بغداد وحتى الروم خرابا يبابا وقضى على الجميع فلو اننا تقدمنا لقتالهم وقمنا بمقاومتهم تخرب مصر خرابا كغيرها ، وينبغي ان نختار مع هذه الجماعة التي تريد بلادنا واحدا من ثلاث " **الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن** " اما الجلاء فأمر متعذر لأنه لا يمكن ان نجد مفرا الا **المغرب** وبيننا وبينهم مسافه كبيرة " .

قال قميري : " ليس هناك ايضا مصلحة في مصالحتهم انه لا يوثق بوعودهم" .

فرد عليه عدد من الامراء : " ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقضيه رأيك "

قال قطز : " ان الرأي عندي ان نتوجه جميعا إلى القتال فإن ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون ملومين أمام الخلق " .

قال بيبرس : "أرى ان تقتل الرسل ونقصد كتبغا متضامين فاذا انتصرنا او هزمنا فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين " فأيد الامراء هذا الرأي .

[الصلابي - عين جالوت 216، 217]

تحدث **الملك المظفر** مع **ركن الدين بيبرس** في امر الجهاد فقوي نفسه وثبت جأشه .

كان رسل التتار خمسة أمر **السلطان** بتوسيط أربعة منهم بالسيف نصيفين احدهم في سوق الخيل تحت القلعة والآخر بظاهر باب زويلة وثالث عند باب النصر اما الرابع فعند الريدانية ثم أمر بتعليق رؤسهم عند باب زويلة واما الخامس فأحتفظ به لنفسه وألحقه بمماليكه .

اصدر **السلطان** اوامره إلى ولاية امور الاقاليم المصرية بجمع الجيوش وحث الناس على الخروج للجهاد في سبيل **الله** ونصرة دين رسوله صلى **الله** عليه وسلم بل وطالب الولاة بضرب من رأوه قد اختفى من الاجناد بالمقارع .

كان **قطز** سياسيا حكيما قائدا بارعا بل وقبل ذلك كان خيرا دينا احتاج المال لتجهيز الجيش فأستفتى شيخ الإسلام **العز بن عبد السلام** في ذلك فأفتاه اذا أراد أن يأخذ من الرعية مال لذلك يجوز بشرط الا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج والذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وان يبيعوا ما لهم من ممتلكات والات ويقتصر- كل منهم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة ، اما اخذ اموال الناس مع بقاء ما في ايدي قادة الجند من الاموال فلا .

[ابن اياس - بدائع الزهور 302/1]

اتفق ما اتفق من خروج **الملك المظفر** إلى الصالحية ووقع **الله** في قلبه الخروج إلى الغزاة فسار يجتمع الأمير **ركن الدين بيبرس** بالسلطان في هذا المعنى فيشير عليه بما فيه مصلحة الإسلام .

فخرج صحبته العساكر وسار **السلطان** بصحبته يركب بركوبه وينزل بنزوله ولم يبقى وجها من وجوه الخدمة الا بذلها له .

حينئذ امر **السلطان** الأمير **ركن الدين بيبرس** ان يتحرك بمجموعة من العساكر في اتجاه الاراضي الشامية .

عند غزة وجد **بيبرس** تجمعات لحامية مغولية فتحرش بها ، حين ذاك علم التتار ان للمسلمين جيش من نار يدافع عن عرض اهله ويصون حدود أراضيه .

كان جيش التتار في غزة يقوده **بيدرا** نائب **هولاكو** هناك وعهد إلى **كتبغا** نائباً عنه في **دمشق** ثم اتجه هو نحو عاصمته **قراقوردم** لحضور اجتماع **القورلتاي** لانتخاب الخان الاعظم بعد موت اخيه **منكوخان** .

لما علم **كتبغا** بهزيمة **بيدرا** تحول إلى كتلة متحركة من الغضب اللاهب وهو الجيش الذي لا يهزم .

تواعد جيش السلطان مع جيش ركن الدين عند سهل عين جالوت لقتال الأعداء . طلع **ركن الدين بيبرس** إلى الجبل الذي يعلو عين جالوت واقام طول ليله هو ومن معه على ظهور الخيل والتتار قريباً منهم حتى جاء جيش **المظفر** فأعلمه بقرب العدو ويظهره على عوراته ويقلله في اعينهم . استئناسا بهدي رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ورحمة **الله** للعالمين واقتداء به ، حدد سلطان المسلمين بدء الهجوم عندما تدور الشمس وتضيء الظلال وتهب الرياح ويدعوا الخطباء والناس في صلاتهم .

ووفق خطة **ركن الدين** الذي لطالما كان في تلك المعركة ركنه وحصنه ، سبق **بيبرس** بجيشه الجيش الرئيسي فلمحه **كتبغا** فتبعه بجيش التتار .

واصل القائد الأمين استدراج جيش الأعداء داخل سهل عين جالوت حتى نزلوا فيه جميعاً ، فلما جمعهم خلفه عن بكرة أبيهم ، تظاهر **بيبرس** بالهزيمة والتراجع إلى الوراء ، ولكن ربما في اسرع من ذلك وجد المغول

انفسهم تحت وطأة هجمات وضغط معدات ثقيلة من قوات **قطر** الخاصة.

[فرسان الإسلام-جيمس واترسون]

جاء **السلطان** بباقي الجيش فحاصروهم فأصبح السهل عليهم صعبا ، عندئذ قرعت طبول الحرب وتتابع ضرب الكوسات ايذانا ببدء الهجوم . فلما وصلت العساكر وقف **ركن الدين** في صدر العدو وصبر على نكايه صدمته الاولى حتى رأى العدو منه شجاعة ما سمع بمثلها ورآه المسلمون فثبت فيهم فجسروا على الأعداء .

حينذاك امتلأ الوادي بالناس واهل القرى من الفلاحين ، كثر صياحهم وارتفعت الاصوات بالدعاء والتكبير والتهليل . نشب القتال وهم في قلوبهم يومئذ وهم عظيم من التتار ، نشب القتال ضاريا داميا ونشبت المعارك .

عندما اقبل الجيش على اعتاب الهزيمة نزل القائد **قطر** من على جواده ومرغ وجهه في التراب ثم دعا اللهم انصر جنك اللهم انصر عبدك **قطر** ثم نادى " **والإسلامة والإسلامة والإسلامة** " .

مرة اخرى اختل الجيش وانكسرت ميسرته كسرة شنيعة وزلزل المسلمون زلزالا شديدا ، فجبر السلطان بنفسه كسرها حتى أستقامت ، وظل يحث الناس على القتال ويحسن لهم الموت في سبيل **الله** فعادت رؤوس التتار تتراقص على الارض . لما خلع العدو إلى الجبل منهزما طلع **بيبرس** راحلا خلفه ووقف قبالة الناس وتتسامع بوقوفه ويطلقون إليه من كل جانب وهو يقاتل قتال من أستقتل وصارت الرجالة تطلع وتأخذ رؤوس من يقتل وتحمل إلى الملك **المظفر** .

ولما نزل لم يشغله ما قاساه من نصب وساق خلف العدو وتبعه الناس ولم يزل سائقا ليله ونهاره لا يصبر وهو يقتل ويأسر والعدو بين يديه منهزم .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 64]

اقبل العسكر وقد أمتلات أيديهم بالغنائم والأموال الطائلة وخيول كثيرة ، ثم ارسل السلطان **المظفر** إلى اهل **دمشق** يبشرهم :

" اما النصر الذي شهد الضرب بصحته وأن التتار خذلهم الله استطالوا على الايام وخاضوا في بلاد الإسلام واستنجدوا بقبائلهم عليه فهذه عساكرنا مستوطنة في مداخلها ، ما تزلزل لمؤمن قدم الا وقدم الايمان راسخة ولا نطق كتاب إلا أخرسه القرآن ، ولا تزل اخبار المسلمين تنتقل إلى الكفار واخبار الكفار تنتقل إلى المسلمين إلى ان خلط الصباح فضته بذهب الاصيل وصار اليوم كأمس ونسخت آية الليل بصورة الشمس إلى أن تراءت العين بالعين وادمرت نار الحرب بين الطرفين وقتل كل جبار عنيد ذلك بما قدمت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد " .

[الصلابي - عين جالوت 124]

وفي صبيحة يوم النصر- اتبع **ركن الدين** وجماعه من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان إلى ان وصلوا حلب وهرب من بدمشق منهم .

[ابن كثير - البداية و النهاية 402/17]

ثم تتبع الفارين من التتار وطهر مدن الشام الأخرى من الحاميات التتارية وطاردهم في أعالي البلاد حتى لحق بهم في حمص ففروا بحياتهم والقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى وعرجوا نحو طريق الساحل فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا واسروا اكثر حتى انه لم يسلم من التتر من يبلغ هولاكو هلاك جنده .

[الصلابي - عين جالوت 125]

لم يبق **بيبرس** أمامه أحد في بلاد الشام ولا حلب وسير إلى حماة وحمص من أمنها وطمأنها.

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 66]

وأما **المماليك** فأصبحت يومئذ الوريث الشرعي لكل من **الايوبيين** و**العباسيين** سواء وأصبح **قطز** أول من ملك البلاد الشامية من ملوك الترك .

[ابن تغري بردي - النجوم 83/7]

ولو تم للمغول النصر في عين جالوت والسيطرة على مصر والنفاذ بعدها إلى شمال افريقيا حيث الصحراء الكبرى التي هي الطريق التقليدي المعروف لدى الغزاة والفاحين الذين قاموا بغزو اوربا من الجنوب في

العصور المختلفة لتمكنوا من الوصول إلى أوروبا عبر جزيرة صقلية وجبل طارق .

[العبادي - قيام دولة المماليك الاولى 169]

وثمة اهمية اخرى لانتصار عين جالوت فقد تم للماليك القضاء نهائيا على المعارضة الايوبية لهم واعادوا الوحدة بين مصر والشام .

[الباز العريني - المغول 262]

فما كان للمسلمين بعدما رأوا حكام بني ايوب يتقاعسون في الدفاع عن المسلمين ضد التتار بل ان بعضهم حارب ضمن صفوفهم كل هذا أفقد بني ايوب اي حق شرعي في الملك وباتوا في صورة قوة متداعية غير جديرة بحكم المسلمين .

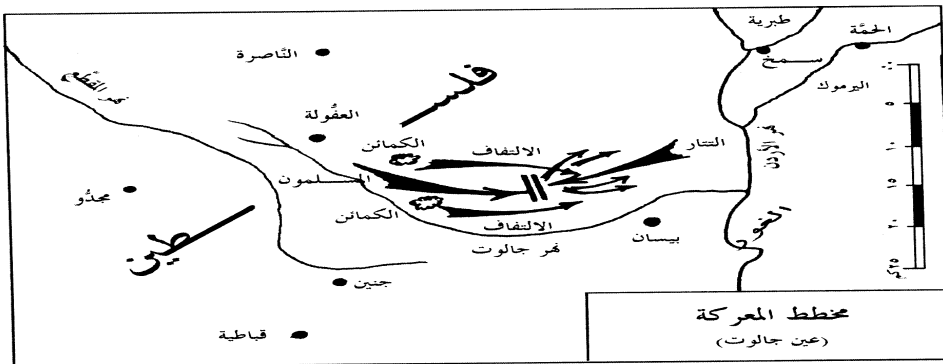
[سعيد عاشور - العصر المماليكي 36]

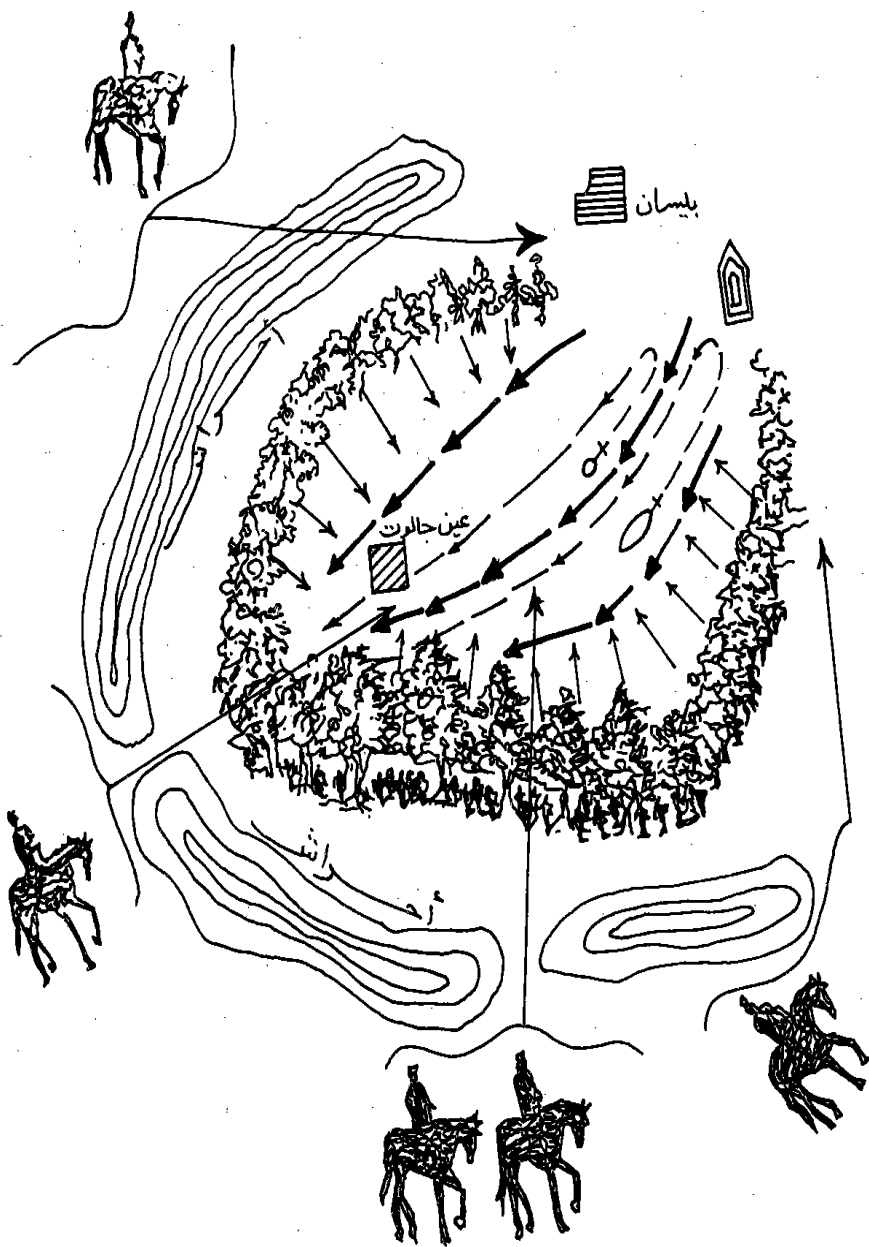
في الوقت الذي ابدى فيه المماليك ثباتا وصلاحيه في البقاء .

[العبادي - قيام دولة المماليك الاولى 316]

فحصل المماليك على ماكان ينقصهم من مجد كان لابد منه لتثبيت اركان دولتهم ، فنسي الناس اصلهم غير الحر وتناسوا لهم انهم اغتصبوا الحكم من سادتهم الايوبيين ولم يعد المسلمون يذكرون الا شيئا واحدا هو :
" ان المماليك انقذوهم من المغول وان بقائهم في الحكم بات ضرورة لابد منها للمحافظة على كيان المسلمين " .

[العصر المملوكي - مفيد الزيدي]





كروكي إدارة المعركة لفوز السلطان قطز في معركة عين جالوت
(نقلا عن كتاب: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري)

الفصل السادس: يبررس ومقتل المظفر قطز



بيبرس ومقتل المظفر قطز :

كان **ركن الدين** كثير المواقف المشهودة في الإسلام ابتدأها يوم **المنصورة** الشهير ثم أتبعها بأياديه البيضاء في ملحمة **عين جالوت** الخالدة .
صار الملك **المظفر** وسائر عساكره فوجدوا مولانا **السلطان** قد مهد لهم البلاد وسكن من بقي فيها من الرعايا ووصل **الملك المظفر** إلى **دمشق** بغير تعب ولا نصب ، لم يبق **الظاهر** قدامه أحد في بلاد **الشام** ولا **حلب** وسير إلى **حماة** و**حمص** من امنها وطمأنها .
لما توجه **الملك المظفر** إلى مصر والسلطان بصحبته صار يظهر تكبرا وتغيرت نيته .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 66]

فأخذ المملكة باليد .

[ابن اياس- بدائع الزهور 307/1]

وأخذ ثأر أخيه **الامير فارس الدين اقطي** .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 79]

كان **بيبرس** قد حدث جماعة من الأمراء في قتل **السلطان المظفر** منهم **سيف الدين بلبان الرشيد** و**سيف الدين بهادر المعزي** و**بكتوت الجوكندار المعزي** و**بيدغان الركني** و**بلبان الهاروني** و**بدر الدين انس الاصبهاني** .

[المقرئزي- السلوك 435/1]

أخذ الأمراء يتحينون الفرصة لقتله إلى أن وصل القصير .
قالوا متى فاتنا هذه المنزلة ووصل إلى القلعة وأعجزنا عن قتله لم نأمن انتقامه .

[الدواداري- زبدة الفكر 73/9]

يقول **ابن أبيك** : " وحكى لي والدي عن مخدومة **سيف الدين بلبان الدوادار الرومي** قال : " فلما أنتصر الإسلام تنمر عليهم **السلطان المظفر** ووبخهم وشتهم وتوعدهم فأضمرؤا له السوء وحصلت الوحشة منذ

ذلك اليوم ولم تزل الضغائن تتراءى في صفحات الوجوه وغمزات العيون وكل منهم يتربص من صاحبة الفرصة .

[ابن ايبك - كنز الدرر 60/8]

اما **بيبرس الدوادار** فقال : " ان **قطز** لما رحل من **دمشق** عائدا إلى الديار المصرية وفي نفوس البحرية منه ومن استأذه ما فيها لقتلها **الفارس اقطاي** واستبداهما بالملك وإلجائهم إلى الهرب والهجاج والتنقل في الفجاج إلى غير ذلك من أنواع الهوان التي قاسوها والمشقات التي لبسوها وإنما أنحازوا إليه لما تعذر عليهم المقام بالشام والتناصر على صيانة الإسلام لا لأنهم أخلصوا له الولاء أو رضوا له الإستيلاء " .

[الدواداري - زبدة الفكرة 73/9]

فلما أنفرد عن الموكب لتصيد الأرناب وسار وراء أرنب عرض له . وهم يرمقونه فلما رأوه قد بعد عن الأطلاب ساقوا في أثره ركضا وجاؤوا يتلوا بعضهم بعضا فتقدم إليه **أنس الاصفهاني** كأنه يشفع عنده في إصلاح حال **ركن الدين** لأنه قام في خدمته مدة ولم يتعين له وخرج إلى الغزاة برمحة وبذل فيها غاية نصحته . فأجابه **المظفر** إلى سؤاله ووعدته بإصلاح حاله فأهوى إلى يده يقبلها فأمسكها فضبطها ضبطا شديدا وعلاه **الامير ركن الدين** بسيفه .

وفي رواية **المقريزي** :

" فلما فرغ **السلطان** من صيده وعاد يريد الدهليز السلطاني ، طلب منه **بيبرس** امرأة من سبي التتار فأنعم بها عليه فأخذ **بيبرس** يد السلطان ليقبلها وكانت إشارة بينه وبين الأمراء فابتدره **بكتوت** بالسيف وضرب عاتقه وأختطفه **الأمير أنس** وألقاه عن فرسه ورماه **الامير بهادر** بسهم أتى على روحه ودفن بالقصير ثم حمل بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية **الشيخ تقي الدين** قبل ان تعمّر ثم نقله **الحاج قطز الظاهري** إلى القرافة ودفن قريبا من زوية **ابن عبود** " .

والخلاصة :

اتفق **بيبرس** مع جماعة من أصحابه على قتل **المظفر** غيلة وهو في طريقه إلى مصر ، لما وصل **المظفر** إلى القصير ولم يبق بينه وبين الصالحية إلا مسافة قليلة سمح لعساكرة بالتقدم إلى الصالحية وبقي هو في بعض خواصه بالقصير وخرج للصيد فتبعه **بيبرس** ومعه جماعة من أصحابه فقتلوه في السابع من ذي القعدة 658 هـ فكان الطريق إلى العرش مفروشا بدماء الخاسرين في الصراع .



[ابن ايبك - الدرر الزكية 39]

والأحداث بمجملها لا تدين **بيبرس** بقدر ما تعبر عن واقع موجود وحالة عامة كانت بين الأمراء المماليك يتحمل وجودها كل الأمراء بلا استثناء سواء القاتل أو المقتول . فالقاتل يريد البقاء والسيطرة لأنه يعتقد أنه الأفضل من خلال تربيته وعقليته ووضعه الاجتماعي والعسكري ، والمقتول أيضاً يتحمل المسؤولية كونه أقر بواقع المؤامرات واقتناعه بقاعدة ضرورات الحكم.

فسياسة الاغتيالات والمؤامرات ، لم تبرأ فيها ذمة أحد ، فكلهم أتقنوا نظرية ضرورات الحكم ووجدوا لها من المبررات ما يقيهم عقدة الذنب .

فالمملوك الذي نشأ في النظام العسكري منذ طفولته وأتقن لعبة الموت ولم يعيش داخل أسرة فيها الأب والأم والإخوة ، كان لابد أن يختلف تفكيره عن تفكير من نشأ في ظروف طبيعية ، ولذلك فمن غير المعقول أن نغفل تلك النشأة ، ولو كان ما حدث بين المماليك إجراماً لوجدنا من المصادر المعاصرة لهم ما يفيد بذلك ، لكن الكتابات في معظمها ذكرت الأحداث

دون الإشارة إلى الإجرامية ، بل ربما اعتبرت ذلك قوة وحنكة عسكرية ، أو من ضرورات الحكم فيجب على كل من يتولى الحكم آنذاك أن يكون حازما قويا ، ليحافظ على العرش والنظام العام .

[هاني فخري - النظام العسكري 47]

حرص **الظاهر** الا يظهر بصورة السلطان الذي يفتك بالامراء المماليك بعد حادثة **المظفر قطز** فكان دائما ما يبدو كريما مع مخالفيه وواقع الامر ان ذلك **السلطان** الداهيه اراد الظهور بمظهر الكرم والتسامح مع المتآمرين على الرغم من مقدرته التامة على اتباع سياسة دموية حيالهم من اجل كسب الأنصار والأتباع .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك]

الفصل السابع:

يبرس سلطانا



لما وصل ركن الدين بيبرس الأراضي المصرية والتقى بأتابك العسكر هو وصحبه ،فقال لهم **الاتابك الأمير أقطاي المستعرب** ⁽³⁵⁾ : " اسمعوا يا اصحابنا **والله** لو كان الملك **المظفر** حيا او له ولد له في عنقنا يمين اول ما كنت اقاتلكم بسيفي وانما الساعة قد فات فيها الفوت ولا شك ان الذي قتله وغرر بنفسه وفعل هذا الامر العظيم ما فعله لغيره ولا بذل نفسه وخاطر بها ليكون الامر والنهي لغيره فمن قتله أحق بمكانه .
قال السلطان : انا الذي فعلت هذا الامر .

قال الأتابك : "**يا خوند**" ⁽³⁶⁾ **اجلس في رتبة السلطنة مكانه** " ، فجلس ثم بايعه وتابعه الامراء والجند وهو لا يزال بالصالحية .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 87]

قال **الاتابك** ⁽³⁷⁾ : المصلحة الركوب لا تتم السلطنة الا بدخولك إلى قلعة الجبل .

(35) فارس الدين أقطاي بن عبد الله النجمي (توفي سنة 1273) أتابك الجيش المملوكي في عهد السلطان سيف الدين قطز ، بعد إغتيال سيف الدين قطز سلطان مصر قام بتنصيب الظاهر بيبرس بموافقة أمراء المماليك سلطانا على مصر. احتفظ بمنصبه أتابكا للجيش المملوكي في عهد السلطان ركن الدين بيبرس. لقب بالصغير لتمييزه عن فارس الدين أقطاي الجمدار مقدم المماليك البحرية في مصر.

(36). الخَوْنَدُ: لَفْظٌ تُرْكِيٌّ أَوْ فَارِسِيٌّ وَأَصْلُهُ "خُذَاوَنَد"

يُضَمُّ الْخَاءُ وَمَعْنَاهُ سَيِّدُ قَوْمِهِ أَوْ الْأَمِيرُ

(37). أتا أي الأب أو المربي، ويك أي الأمير، فيكون معنى الكلمة مربي الأمير، ثم صارت مع الأيام تستعمل لدلالات أخرى بينها الملك والوزير الكبير والأمراء البارزون الذين يمتون بصلة القرابة إلى

قال **السلطان** : نقعد حتى تحضر بقية الامراء المتأخرين في الطريق ونكمل حلفهم .

فقال **الأتابك** : إن تأخر **السلطان** ارتقى الناس وتشاوروا ولكل احد غرض وهوى والمصلحة ركوب **السلطان** .

توجه **بيبرس** بصحبة الأمراء إلى القلعة فلقبهم نائب السلطنة بديار مصر- الأمير **أيدمر الحلي** وكان قد خرج إلى لقاء **الملك المظفر** فعلمه **بيبرس** بما جرى فحلف له وتقدمه إلى القلعة .

تقدم الامير **عز الدين الحلي** ⁽³⁸⁾ إلى القلعة فتحدث مع النواب بها وأستمال قلوبهم وهم يعلمون دينه وأمانته وأنه لا يقول إلا الحق فأخبرهم بوفاة **المظفر قطز** وان الناس قد اجتمعوا وحلفوا للسلطان **الملك الظاهر** فرجعوا إلى قوله وركنوا إلى وفاء وعده ، وجلس **الحلي** على باب القلعة حتى قدم **بيبرس** والأمراء في الليل ، فتسلم منهم القلعة والخزائن وحلف الناس الذين بالقلعة للسلطان ليله الاثنين تاسع عشر ذي الحجة سنة 658 هـ

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 69]

كانت القاهرة قد تزينت لقدم **الملك المظفر** والناس في فرح ومسارات بقتل التتر فلما طلع النهار وبينما الناس يستعدون لاستقبال **قطز** اذا بالمنادي يطوف في شوارعها ترحموا على **الملك المظفر** وادعوا لسلطانكم **الملك القاهر ركن الدين بيبرس** ، فحضر- صاحب الوزير **زين الدين**

السلاجقة والأمراء الأقوياء. ثم أطلقت في عهد المماليك على من تُعهد إليه إمارة العسكر، ومنه شاع لقب أتابك العسكر.

(38) عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلي الصالحي النجمي كان من أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية .

يعقوب ابن الزبير و اشار علي السلطان **بيبرس** ان يغير لقب الملك **القاهر** فإنه ما تلقب به احد فأفلح فاستقر لقبه **الملك الظاهر** .

[المقريزي - السلوك 520/1]

كان **قطز** قد أحدث في هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر فأبطل **الملك الظاهر** جميع ما أحدثه قطز وكتب به توقيعاً وقرئ على المنابر فسر الناس بذلك وزادوا في الزينة .

وفي يوم الاثنين سابع صفر 659 هـ ركب **السلطان** من قلعة الجبل بشعار السلطنة فنزل الامراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة ثم ركبوا إلى القلعة وقد زينت ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان .

[المقريزي - السلوك 225/1]

الآن فقط رد البحرية **للملك الظاهر** الجميل فلطالما كان مادة سعادتهم ، فهو الذي حماهم من الملك **المعظم توران** ولولاه ما ابقى منهم احدا ولما حضروا **دمشق** وصل ارزاقهم واكلوا الخبز بسيفه لا ينييه في ذلك الا قباء وسيف وفرس .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 76]

الآن اوصلوه إلى سدة الملك فأحسن إلى كبيرهم وصغيرهم وقدمهم بعد ان اعتقد كل منهم انهم لا تقوم له قائمة ابدا فجمع منهم الشريد وقرب البعيد وقدم المتأخر وولى المعزول ورد عليهم ما كان غضب من اموالهم واملاكهم .

كتب بإحضار البحرية من البلاد فجمعهم في ارض الميلاء بعد أن تهججوا في البلاد ، ووفي ما كان على **فارس الدين أقطاي** من الديون وعمر له تربه قرب باب القلعة ووقف عليها وقفا يقوم بكفلها .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 79]

واعاد اعمار قلعة **الروضة** بعد ان هدمها **الملك المعز** ، هدمها **ايك** لا لغرض ولا لمصلحة واباح رخامها واصنافها للناس .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 94]

بعدما استتب له الأمر ما كان له غير الجهاد شغل فقد جاء البلاد ملك يرد الأعداء ويطهرها من كل معتدي ويزود عن الحمى ويحفظ بيضة الإسلام ،

"والقائد الذي يشرع في الجهاد يتوقع ان يسانده رجال الدين وان يستفيد من خدمات الرعاية الدينية التي يقدمونها له والاكثر من ذلك ان الجنود المقاتلين يضمنون الجنة " .

[جيمس واترسون-فرسان الإسلام 135]

ففتح فتوحات كثيرة : قيسارية وأرسوف ويافا والشقيف وأنطاكية وبغراس وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عكار والقرين وصافيتا وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الإسماعيلية شيئا من الحصون ، وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وبلاد أنطربوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال ، وفتح قيسارية من بلاد الروم وأوقع بالروم والمغول على البلستين بأسا لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلادا كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى وصرخد وحمص وعجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكمالها من بلاد السودان ، وانتزع بلادا من التتار كثيرة منها شيزر والبيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة .

[ابن كثير - البداية والنهاية]

مرحبا بالملك الظاهر ركن الدنيا والدين ، قسيم أمير المؤمنين ، مرحبا ببيبرس مرحبا بالملك المجاهد والسلطان العظيم .



الفصل الثامن :

دين السلطان



دين السلطان :

جاء **السلطان** الذي ينتظره الناس بصبر نافذ فيرفع عن كواهلهم الظلم ويرد عنهم غاشية العدو ويوزع الأمر بينهم بالقسط .
اصبح السلطان راعيا للاخلاق بين رعيته ، يطعم في كل ليلة خمسة الاف نفس في رمضان ويكسو في كل سنة ستمائة كسوة ويخصص وقفا لدفن الفقراء ، كان يتصدق في كل سنة بعشرة الاف اردب من القمح ، يرتب لأيتام الاجناد ما يكفي لمطالبهم في الحياة ووقفا يشتري به الخبز ويفرق على فقراء المسلمين والف قنطار من السكر الابيض ويعتق ثلاثون عبدا سنويا ، وابطل المحدثات وكتب بإقامة الشريعة المطهرة واخذ يستهوي القلوب ويكف عن السيئات .

[وليم موير - تاريخ دولة المماليك 47]

نصب دار العدل وأقام فيها الأمير **فارس الدين الاتابك** ينصف بين الناس .
كان الناس قد هلكوا من الظلم فأبطل **الله** هذه المظالم على يديه وقرأت على المنابر ، أبتهل الناس بالدعاء وأستقرت الأحوال .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 77]

ما رفعت إليه مظلمة إلا كشفها ، شكى إليه أهل الغربية ذات يوم واليها **ابن الهمام** فصار السلطان يركب للصيد ثم ينفرد وحده متخفيا ويسأل عن حال الوالي المذكور وحال نوابه وغلماينه والمباشرين فلما تحقق سوء اعتماده امسكهم وادبهم وعزلهم وولى غيرهم .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 186]

قال ذات يوم : "اعلموا انني تركت **الله** ستمائة الف دينار فعوضني **الله** من الجهات الحلال اكثر منها وطلبت جرائد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة ومن ترك شيئا **الله** عوضه **الله** خيرا "

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 176]

غير أن ارباب الملاهي والمغاني فإنهم لم ينفق لهم في ايامه سلعا ولا لهم بالارزاق بذلك طمع .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 425]

لما غلت الاسعار رسم **السلطان** بالتسعير طلبا للرفق فأشتد الحال وعدم الخبز فأمر السلطان بالنداء بأجتماع الفقراء تحت القلعة .
نزل **السلطان** إلى دار العدل فأول ما تحدث فيه ابطال التسعير وكتب ببيع خمسمائة اردب كل يوم لا يشتري منه الخزان بل يباع للضعفاء والارامل.
ثم نزل حجابه إلى تحت القلعة وكتب اسماء الفقراء وسير إلى كل جهة حاجبا لكتب الاسماء في القاهرة ومصر وضواحيها ، وقال للناس : "**والله لو كانت عندي غلة تكفي هذا العالم لفرقتها**" فلما عد العالم وحصروا واحضر ديوان الجيوش المنصورة وكتبت الاسماء واعطى لكل امير جماعة يتكفل بهم على قدر عدته وفرق الفقراء على الامراء والاجناد ثم رسم بأن يعطى لكل فقير كفاية مؤنته ثلاثة شهور وتسلم نواب الامراء الفقراء وكذلك الاكابر والتجار والناس على اختلاف احوالهم ثم قال السلطان "**هؤلاء الناس المساكين جمعناهم اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعطي كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا ومن غدا يتفرد الحال**"

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 189]

اخذ صاحب جماعه العميان واخذ الاتابك التركمان ولم يبق احدا من الخواص ولا من الحجاب والولاة واصحاب النواصي وذوي المراتب والثروة الا اخذ جماعة .

ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف ، إلا المغاني وأرباب الملاهي فإنه لم تنفق لهم في طول أيامه سلع ، ولا نالهم منه رزق ألبته .
قال السلطان لوالي القاهرة **صارم الدين المسعودي** : "خذ مائة فقير اطعمهم **الله**" فقال فعلت ذلك اخذتهم دائما فقال **السلطان** : "**ذلك فعلته ابتداء من نفسك وهذه افعلها لاجلي**" . فاخذ مائة فقير اخرى .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 189]

قال السلطان لأمرائه ذات يوم :

"ما جمعت هذه الأموال الا لمهم يحصل للمسلمين ومن احتاج منكم ومن العساكر المنصورة اعطيته ومن عدم واسيته وانا ينوبني فرس وجميع ما عندي من خيل وجمال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل **الله**"

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 203]

وكان اذا اصبح ينظر في امور دولته و يصلي الصبح ويخرج من باب دهليزه ويجلس على الكرسي ظاهرا للناس كافة يقرب منه الفقير والمرأة والضعيف ويقضي حوائج الناس ويسمع قصص الرعايا ثم يقوم عند مجيء أمراءه من سوق الخيل فيجلس في مرتبة السلطنة لقضاء حوائج الناس .

ليعلم ان هذا **السلطان** اوقاته مستغرقة في مصالح المسلمين ولذاته في الاهتمام بأمور الدين .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 225]

مر على قنطرة فوجد جماعة من الرعية عابرين على القنطرة في ليلة شاتية فوقف وأمر أن لا يعبر أحد حتى يعبر الضعفاء .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 228]

كتب إلى **الامير عز الدين الحلي** :

" ان بعض الصالحين تحدث معي ان القمح الذي جعله **الله** قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت إلى **الله** بابطاله ومن ترك شيئا **لله** عوضه **الله** خيرا منه فاني اشتي لاجلي ان تزيل هذا المنكر " .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 228]

جمع **السلطان** اهل البلاد وطلع الجبل الذي عند جرود وصحبته الامراء وكان يوما شديد الحر واشتد العطش فكاد الناس يهلكون فدلهم شخص من الجبلية على عين ماء جارية لكنها يسيرة النبع فوقف السلطان عندها وصار يسقي الناس بيده .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 264]

رسم **السلطان** بإبطال الخواطئ من الديار المصرية فظهرت الديار من هذا المنكر وأمر بحبسهن وتزويجهن وكتب إلى جميع البلاد بذلك .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 350]

استهلت 670 هـ فأستفتحها **السلطان** بتبطيل المنكرات وارقة الخمر .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 390]

وامر ببناء الجوامع والمساجد و اظهار شعائر الإسلام وازالة المنكرات .

ونودي بالقاهرة ومصر ان امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتزى بزي الرجال ومن فعلت ذلك سلبت ما عليها من الكسوة .

[المقريزي - السلوك 3/2]

جاءته ورقة مع خادم اسود ان **شمس الدين** شيخ الحنابلة يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا في المدرسة التي انشأها بجوار قبه الملك **الصالح** ولا ولى حنبليا قاضيا وذكر اشياء فادحة فيه . فبعث **السلطان** بها إلى الشيخ فأقسم أنه ما جرى منه شيء وإنما هذا الخادم طردته من خدمتي ، فقال **السلطان** ولو شتمتني انت في حل وامر بضرب الخادم مائة عصا .

[المقريزي - السلوك 3/2]

واسلم عالم كبير على يد **السلطان** من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والاسرى من النوبة القادمين من عند ملكها .

[المقريزي - السلوك 7/2]

نزل **السلطان** من قلعة الجبل بالليل متنكرا وطاف بالقاهرة ليعرف احوال الناس فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها ولم يجسر أحد ان ينكر عليه فلما أصبح السلطان قطع ايدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء واصحاب الرباع بالقاهرة .

[المقريزي - السلوك 28/2]

افتك قُصر المسلمين من بلاد الفرنج فحضر عدة من النساء والأطفال فسيرت النساء إلى دمشق ليزوجوهن القاضي من اكفائهن .

[المقريزي - السلوك 32/2]

أبطل **السلطان** ضمان الحشيشة الخبيثة وامر بتأديب من أكلها .

[المقريزي - السلوك 36/2]

اشتد انكار السلطان للمنكر وازاقة الخمر وعفى اثار المنكرات ومنع الحانات والخواطئ بجميع اقطار مملكته فطهرت البقاع .

[المقريزي - السلوك 38/2]

امر **السلطان** بجمع اصحاب العاهات فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة ونقلوا إلى مدينة الفيوم وافردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة.

سلبت جميع احوال المفسدات وحبسن حتى يتزوجن .
رسم بالآلا يؤخذ بمكة من أحد مكس ولا يمنع احدا من زيارة البيت ولا
يتعرض لتاجر . [المقريزي - السلوك 59/2]
لما وصل مكة في رحلة الحج اعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرا
وفرق كساوي على اهل الحرمين وسار كواحد من الناس لا يحجبه احد ولا
يحرسه الا الله وهو منفرد يصلي ويطوف ويسعى و غسل البيت وصار في
وسط الخلائق وتعلق بعض العامة بأطرافه فقطعه وهو مستبشر- بجميع
ذلك .

وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أموراً ، ويقول فيه :
سطرتها من مكة المشرفة ، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة
ويقول له : " الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويبذل نفسه في
الذب عن حوزة الدين " .

الفصل التاسع :

بيبرس والمعاهدات الدبلوماسية



بيبرس والمعاهدات الدبلوماسية :

ما الذي يجب ان تفعله اذا ما كان الجيش ضعيفا وجيش العدو قويا ؟
ان مواجهته في عنفوان قوته وهو على هذا الحال خطأ لا يغتفر ويشبه
ذلك من يقوم بإستثارة ثعبان مختبئ في وجاره بينما هو غير مسلح بما
يمكنه ان يقوم بمواجهته بقتله وبذلك يعرض نفسه لخطر ومغازلة الموت
بما صنعت يديه . وتأخيرك للقتال فإنك تفعل ما هو نافع لك .

[فرسان الإسلام 253-جيمس واترسون]

ورث **بيبرس** إرث ثقیل من أسلافة فكان عليه أن يتقن دور الحاكم
الدبلوماسي كما كان دائما يجيد أداء أدوار الفارس العسكري الذي لا يشق
له غبار .

هجمات يشنها المغول من الشرق وأخرى تأتي من الصليبيين من الغرب ، لم
يكن المسلمون في أي يوم في وضع اشد ضعف طوال تاريخهم مثل ذلك
اليوم ، الله فقط الذي ينقذهم من هذه المحنة .

[ابن الأثير - الكامل في التاريخ]

فأقامه **الله** عز وجل في تلك الحقبة للقيام بدور سيخلده له التاريخ
ويجعله أعجوبة زمانه ويجري ذكره على لسان الحاضرين والمتأخرين .
حينئذ جاءهم الموت من فوقهم ومن أسفل منهم واصبح ثغرهم الذين
ظنوه عاصما لهم .

اصبح لا يغني عنهم شيئا واصبح قتالهم قتال مستقبل لا يرى من الموت
بد امام من قدموا انفسهم رغبة إلى **الله** لا شيء ، رأوا الجنة تحت ظلال
السيوف فلم يروا دونها وتحققوا ما وعده **الله** اهل الشهادة .
ومصر لا يعوزها مال ولا رجال وإنما يعوزها ايمان وعمل ، والايمان بعون
الله راسخ والعمل باذن **الله** سيجري على قدم وساق .

[نور الدين خليل - الممالك المفترى عليهم 74]

بالاضافة إلى ما كان يمتاز به **بيبرس** من مهارة قتالية ودهاء عسكري لقد
تميز ايضا ببعد نظر سياسي وقدر كبير من الدبلوماسية جعله جديرا

بالمكانة التي احتلها في صفحات التاريخ وفي قلوب ابناء مصر والمنطقة العربية ، وكان يهد لكل عملية من عمليات العسكرية بمعاهدات واتفاقيات دولية كان يعقدها مع القوى المعاصرة.

لقد استخدم **بيبرس** كل امكانياته الدبلوماسية لكي ينفرد بأمرء المستوطنات الصليبية في بلاد الشام وفلسطين .

[قاسم و عبد قاسم - عصر سلاطين المماليك 96]

1262م ارسل إلى **ميخائيل فاليو لوجوس الثامن** قائد الامبراطورية البيزنطية سفارة على رأسها الامير **فارس الدين اقوش المسعودي** وتضم عدد من الاساقفة المسيحيين الارثوذكس فرحب بهم في القسطنطينية وكرمهم بل ان حاكم القسطنطينية ركب يوم **فارس الدين اقوش المسعودي** ليريه عمائرهما ، فأراه جامع وقال "جامع قد أبقيته يكون ثوابه للسلطان " ، فلما سمع السلطان ذلك فرح واعجبه كون **الله** سبحانه وتعالى قد هيا هذه الحسنة في ايامه وأمر لوقته بتجهيز الحصر والقناديل المذهبة والسطور المرقومة والمباخر والسجادات والمسك وماء الورد والعنبر والعود .

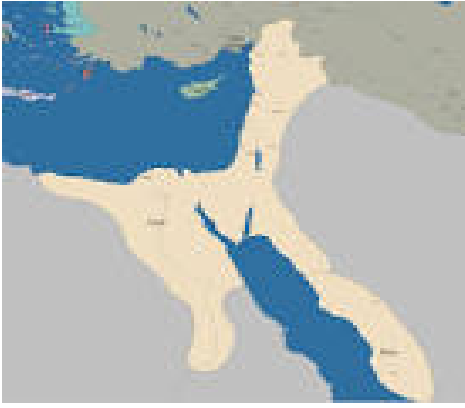
[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 129]

كذلك كانت له علاقات ودية مع " **الفونسو العاشر** " ملك قشتالة الاسباني ، وفي الشرق كان لابد من محالفات ضد مغول فارس الخاضعين **لهولاكو** وبنيه ، فبسط حالة صداقة مع **بركة خان** زعيم القبيلة الذهبية الذي كان اول من اعتنق الإسلام من ابناء **جينكيز خان** .

كانت بلاد الخان المسلم من تركستان شرقا حتى شمال البحر الاسود غربا وهي " بلاد القفجاق " كما تزوج **بيبرس** من ابنته وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس والحرمين بمكة والمدينة .

[قاسم و عبد قاسم - عصر سلاطين المماليك 97]

استقبل التتار المستأمنة " الوافدية " وأنشأ لهم باب اللوق ، وبذلك ضمن حلفاء اقوياء ليحمي ظهره من ناحية مغول فارس .



واقام **الظاهر** علاقات طيبة مع الامارات الأوروبية الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط ، تبادل الهدايا مع **مانفريد** حاكم **صقلية** حين ارسل وفدا عام 660 هـ – 1261م برئاسة **ابن واصل** **المؤرخ** وحمله هدايا جليلة من الزرافات وبعض

اسرى **عين جالوت** ، اضافه إلى العلاقات التجارية الطيبة بين **الظاهر** وجمهورية ايطاليا الثلاث " البندقية وجنوة وبيزا " .

فأضحى بإستطاعته ان يواجه الصليبيين في بلاد الشام وهو مطمئن .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 112]

الفصل العاشر :

يبرلس والزعامة الدينية



بيبرس والزعامة الدينية :

إن فكرة الزعامة الدينية تعمل في الرؤوس مالا تعمله اساليب السياسة أيا كان نوعها ومالا تناله أسنة السيوف مهما كانت أراقت من دماء .

[جمال الدين سرور - دولة الظاهر بيبيرس 61]

من هذا المنطلق عمل **بيبرس** كثيرا ليحيط عرشه بسياج من الحماية الروحية ويبعد منافسيه من امراء المماليك وان يظهر أمام العالم بمظهر الحامي للخلافة وحامي الإسلام .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 93]

ففضلا على ما نالته دولة سلاطين المماليك من مكانة ابان نصر عين جالوت العظيم حتى ان **المظفر شمس الدين** سلطان دولة بني رسول في اليمن حج بجيش كبير في العام التالي للمعركة وفي ارض الحجاز طلعت اعلامه الشريفة واعلام سلطان مصر فقال له احد امرائه : " هلا اطلعت اعلامك يا مولانا قبل اعلام المصريين " ، فرد سلطان اليمن قائلا : " اتراني أؤخر اعلام ملك كسر التتار بالأمس واقدم اعلامي لحضوري "

[الخزرجي - العقود اللؤلؤة 69]

وبيبرس ليس له غير الجهاد شغل ، متمسك بأهداب الشرع ، حريص على إقامة اوامره ، يتودد إلى الرعية ويرعى مصالحها ، مهتم بترميم أماكنها المقدسة يقوم بزيارتها ويعمر المساجد والمدارس وفوق كل ذلك أعاد الخلافة العباسية حتى ظفر في النهاية بكل ما سعى اليه يوما ، يقول [**ابن شاهين الظاهري**] : ولا يطلق **سلطان** الا لصاحب مصر نصره **الله** فانه الان اعلى الملوك واشرفهم لرتبة سيد الاولين والآخرين وتشرفة من امير المؤمنين بتفويض السلطنة له على الوجه الشرعي لعقد الأئمة الأربعة .

وصل **السلطان** إلى بيت المقدس وزار مواضع الزيارة وطلع على القبة التي على الصخرة من خارجها هو وشيخ الحرم وشاهد ما ذكر انه يحتاج إلى العماره و رأى ذلك بنفسه .

ثم نزل إلى غزة راجعا فقام ليسبغ الوضوء سحرا على عاداته وتفرقت
الخاصكية للوضوء والتهيئ لصلاة الجماعة وقام السلطان يتركع قبل الاذان.
[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 168]

كان قد بلغته اخبار ان التتار قد جهزوا ركبا إلى الحجاز وقصدوا كشف
الطرقات والتلصص واستباحة دم الحجاج في الحرم فأقدم وتقدم وعزم
الجمع بين الحج والجهاد، هذا وقاضي القضاة مرافقه طول الطريق
يستفتيه ويفهم منه امر دينه ، فجلس على باب الكعبة واخذ بأيدي الناس
ليطلع بهم إلى الكعبة .

علق كسوة البيت الشريف بنفسه وسبل البيت لسائر الناس وتردد إلى
الصالحين . ما ترك مزارا ولا اغفل منسكا .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 355]

راح **بيبرس** يحمل الناس على اتباع **المذاهب السنية الاربعة** ومنع الناس من
اتباع ما عداها كما حرص على حصر- وظائف القضاء ومهام التدريس
والخطابة وامامة المسجد على اتباع هذه المذاهب .

سأل الظاهر **الشيخ العز بن عبد السلام** عما ينبغي ان يفعله ويكون فيه
صلاح للدولة فأجابه: " ان الدولة لا تقوم الا بأمرين احدهما قيام الشرع
الشريف والثاني تحصيل الأموال من وجوها ولا ارى لمنصب القضاة مثل
تاج الدين يريد ابن بنت الأعز ⁽³⁹⁾ وللوزارة مثل **بهاء الدين علي** "

(39) المعروف باسم تاج الدين بن بنت الأعز، قاضي
القضاة للسلطنة وعالمًا شافعيًا، عُرف باسم ابن
بنت الأعز لأن جدّه لأمه هو الأعز بن شكر وزير الملك
الكامل، كان الشيخ العز بن عبد السلام يحبه
ويقدره، وكان نائبه في الحكم، ثم أسند إليه
قضاء القضاة إثر عزله نفسه، وفوّض إليه تدريس
المدرسة الصالحية عند مرضه، لما طلب منه الظاهر
بيبرس أن يعين أحد أولاده، فقال: «ليس فيهم من
يصلح لذلك، وهذه المدرسة للقاضي تاج الدين ابن
بنت الأعز»

ثم قام **بيبرس** بتطوير القضاء ، كان في عهد **الايوبيين** من يقوم على اعمال الديار المصرية قاضي واحد على المذهب **الشافعي** له حق تعيين نواب عنه في الاقاليم ، فلما جاء **بيبرس** أمر **القاضي ابن بنت الاعز** ان ينوب عنه مدرس **المدرسة الصالحية** من **الحنفية** و**المالكية** و**الحنابلة** للفصل في بعض القضايا ولم يكن هذا تدبير معروفا في مصر من قبل .
وما زال **السلطان** يطور النظام القضائي حتى ثبته وجعله مبدأ رسميا في **ذي الحجة 663 هـ** فعين اربعة قضاة يمثلون المذاهب **الاربعة** ، رسم لهم ان يعينوا لهم نوابا في الديار المصرية .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 15]

بيبرس والخلافة العباسية :

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن للإسلام إلا دولة لا تتجاوز حدودها شبه الجزيرة العربية ، ولكن سرعان ما بدأ التوسع في سرعة لا يصدقها عقل .

أستطاع الإسلام ان يقطع رقعة دولته في مدى قرن واحد ، انتزع **الشام** من **البنظيين** ثم **مصر** ثم وضعت **معركة نهاوند** حدا لكل مقاومة من بلاد **فارس** ثم تقدموا نحو **افريقية** حتى تمكنت ايدي **المسلمين** منها ، مما مكنهم من استخدامها كقاعدة للانطلاق نحو **الاندلس** ثم **أنس المسلمون** من انفسهم قوة على عبور جبال **البرانس** ثم وجد انصار جدد في **الهند** و**اسيا الوسطى** و**افريقية**.

كانت **المسيحية اللاتينية** قد فازت بأوروبا الشمالية واقتحمت المناطق الممتدة على سواحل بحر **البلطيق** ، ونشرت **المسيحية اليونانية** الوية الأنجيل على مناطق كبيرة من **البلقان** ثم توغلت إلى **روسيا**.
كانت الدولة آنذاك وظائفها محصورة على حماية أراضيها والذود عن عقيدتها والسلطة تتركز في حاضرة الدولة حول شخص " **ال خليفة** " .

ظلت **الخلافة** قائمة بدور حامي حمى العقيدة دون ادخال اي تطور على مجموعة التعاليم الدينية ولا حتى مجرد تأويلها ، عكس ما جرى في **أوروبا** إذ استمر الصراع بين الدولة والكنيسة عنيفا لجوجا من جيل إلى جيل ، كل من **المسيحية اللاتينية واليونانية** تدعي انها الوارثة الشرعية لروما القيصرية

بينما ظلت وحدة الإسلام سليمة في الازهان على الرغم من تجزأ الخلافة إربا .

[حضارة الإسلام 15 إلى 19- جوستاف فون]

فلما توالى السنين وقوي نفوذ الأتراك في الدولة العباسية وضعف الخلفاء، في هذه الفترة من تاريخ بني العباس لا يخرج عن كونه سلسلة مستمرة من المنازعات بين الخلفاء من جهة وبين الأتراك من جهة أخرى على ان نتيجة هذا النزاع كانت واحدة دائما وهي الفوز للأتراك والذلة للخلفاء .

قام **الخليفة المعتضد** باعادة مركز **الخلافة العباسية** من سامراء إلى بغداد ولكن لم يتغير تيار الحوادث وأستمرت القوى الحقيقية في ايدي قوات الجيوش من الأتراك ، حاول **الخليفة الراضي** ان يقلل الخلافة من عثرتها فأوجد منصبا جديدا اطلق على صاحبه **امير الامراء** وهو منصب يعلو الوزير ، لصاحبه الحق في التصرف في كل شؤون الدولة ويرأس الجيش ويسيطر على مالية الدولة وله ان يولي ويعزل من الحكام ما يشاء كذلك يذكر اسمه في خطبة الجمعة ، فأصبح **الخليفة** لا يملك من الخلافة الا اسمها ، ففاقت هيبة الخلافة وسطوتها ونشأت في انحاءها المختلفة دويلات مستقلة انفصلت عن جسم الخلافة العباسية .

استطاع بعض ذوي النفوذ الديني والسياسي ان يؤسسوا انفسهم في بقاع الدولة المختلفة منتهزين فرصة ضعف الخلافة العباسية في بغداد .

[الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي 23 ، 24- حافظ حمدي]

أستمر هذا الوضع حتى جاء التتار فما أبقوا للمسلمين على خليفة ولا خلافة وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين .

والخليفة هو الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلفاء وخلائف .

والخلافة : الامارة وفي العرف العام تطلق على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها ، والذي عليه العرف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرا اطلاق اسم الخليفة على كل من قام بأمر المسلمين القيام العام إما ببيعة من أهل الحل والعقد وإما بعهد ممن قبله الا ان بعض السلف قد خصص ذلك بما اذا كان جاريا على منهاج العدل وطريق الحق .

[القلقشندي- مآثر الاناقة 9/1]

وبعضهم يعرفها بأنها حراسة الدين وسياسة الدنيا .

[الماوردي- الاحكام السلطانية 15]

وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع والادلة على وجوبها كثيرة منها ان طبيعة البشر تستلزم وجودها لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع . ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين .

فلابد للأمة من امام يقيم الدين وينصر السنة وينصف المظلومين من الظالمين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها .

[القلقشندي- مآثر الاناقة 29/1]

وبعد عين جالوت وتحقيق النصر العظيم

استمر **بيبرس** في سياسته لتوطيد حكمه فلم يكلفه من الجهد الا قليلا وبقي عليه ان يضفي على حكمه رداء **الشرعية** ، رأى الحل السعيد في احياء **الخلافة العباسية بالقاهرة** ومن ثم الحصول على تفويض من الخليفة بالحكم .

لم يكن **بيبرس** أول من فكر في مشروع احياء **الخلافة العباسية** ولكنه اول من نجح في تحقيق ذلك والتاريخ تصنعه الافعال لا النيات .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك]

ان **بيبرس** ليس اول من فكر في ذلك من الملوك والسلاطين الذين تداولوا حكم مصر والشام وانما هو الذي نجح في تحقيق ذلك فقط ، ففي عام 882 م في ولاية **ابن طولون** لمصر ، سار **المعتمد** نحو أم البلاد وكان سبب ذلك انه لم يكن له من **الخلافة** غير اسمها ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا

في كثير وكان الحكم كله **للموفق** والاموال تجبى اليه فضجر **المعتمد** من ذلك وانف منه فكتب إلى **احمد بن طولون** يشكو اليه حاله سرا من اخية **الموفق** فأشار عليه **ابن طولون** باللاحاق به بمصر ووعدده النصرة .

[ابن الاثير - الكامل في التاريخ]

كذلك جرت محاولة اخرى من الأخشيد عندما تأزم الموقف بين المتقي وبين الحمدانيين والأتراك [333هـ - 944م] .

والناصر يوسف أول من فكر في أحياء الخلافة ولكن لم يمكن من ذلك .

[عاشور - العصر المماليكي 342]

كان **قطز** قد فكر في احياء **الخلافة** عام 658 هـ بعد انتصار **عين جالوت** ولكن موت **السلطان** حال دون ذلك ، كان **قطز** قد أمر بالارسال إلى امير **عباسي** يدعى ابا **العباس احمد** من **دمشق** وامر بارسالة إلى **مصر** تمهيدا لارسالة إلى **بغداد** وتذكر الروايات ان **المظفر** بالفعل بايعه وهو في **دمشق** .

[السيوطي - تاريخ الخلفاء 530]

ثم بدأ **ركن الدين بيبرس** باتخاذ اجراءات التنفيذ فأستدعى الامير **ابو العباس احمد** الذي كان **قطز** قد بايعه من قبل فلم يحضر- وفي نفس الوقت جاء امير **عباسي** اخر يدعى **ابا القاسم احمد** فكتب الاميران **علاء الدين طيبرس** نائب **دمشق** و**علاء الدين البندقدار** كتابا إلى الملك **الظاهر** يعلمانه بذلك فكتب اليهما يوصيهما به خيرا وان يقوموا بخدمته ويعظم من حرمة وارسالة إلى القاهرة .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 94]

خرج **السلطان** إلى لقائه ومعه الوزير صاحب **بهاء الدين ابن حنا** وقاضي القضاة **ابن بنت الاعز** وسائر الامراء وجميع العسكر وجمهور اعيان القاهرة ومصر ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين وخرجت اليهود بالتوراة والنصارى بالانجيل فسار **السلطان** به إلى باب النصر ودخل إلى القاهرة وقد لبس الشعار العباسي وخرج الناس إلى رؤيته وكان من اعظم ايام القاهرة وبالح **السلطان** في اكرامه .

[المقرئزي - السلوك 529/1]

ولكن **الخلافة** الجديد ما نسي تاره القديم وحسن له البعض مهاجمة بغداد واسترجاع ملك آبائة القديم فصار بصحبة الأمير ابو العباس احمد وبعد العربان والتركمان وبعض الأمراء لمهاجمة المغول ولكن ، **سار قرابغا** الذي استخلفه **هولاكو** في بغداد للقاء الخلافة فلقبهم الخلافة ولكن خذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا معه وفروا فأحاط التتار بالخلافة ومن بقي معه لم يفلت منهم سوى الأمير **ابي العباس احمد** ولم يعرف للخليفة خبر.

[المقريزي - السلوك 1/541]

ثم وصل إلى القاهرة عام 661 الحاكم بأمر **الله ابي العباس احمد** ، جلس السلطان مجلس فيه جميع الناس وحضر الامام الحاكم فاقبل السلطان عليه وبايعه على كتاب **الله** ورسوله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اعداء **الله** واخذ اموال الناس بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهد واقامة الحدود ثم اقبل على **السلطان** وقلده امور البلاد والعباد ووكل اليه تدين الخلق وجعله قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه سائر الامور ثم اخذ الناس على مبايعته على اختلاف طبقاتهم ولم يبق ملك ولا امير ولا وزير ولا قاضي ولا فقيه الا وبايعه .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 142]

وبعد ان تمت بيعة **الخلافة** الجديد قلد **الخلافة الظاهر بيبرس** حكم البلاد والعباد وجعل اليه تدبير الخلق واقامة قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه سائر الامور ، فلما كان يوم الجمعة خطب الخلافة في الناس :
" الحمد **الله** الذي اقام لآل العباس ركنا وظهيرا وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا حتى قال " ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض الإسلام ثم ذكر احوال التتار في بغداد وانهى خطبته قائلا : " وهذا **السلطان الملك الظاهر** الاجل العالم لعادل المجاهد المرابط ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار فأصبحت البيعة منتظمة العقود والدولة العباسية به متكاثرة فبادروا عباد **الله** إلى شكر هذه النعمة.

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 145]

ان **الظاهر بيبرس** حقق للأمم الإسلامية في الشرق الإسلامي ما كانت تصبوا اليه اذ كانت في ذلك الوقت متعلقة بأهداب الخلافة نازرة إلى الخليفة نظرة اكبار واجلال كما كان المسلمون في الوقت نفسه ينظرون إلى من يحقق فكرة اقامة الخليفة بنفس العين التي كانوا ينظرون بها إلى الخليفة.

[جمال الدين سرور - دولة الظاهر بيبرس 61]

فسار من بعده سلطان مصر لابد اذا استقر في السلطنة ان يلبس خلعة السلطنة ويدخل إلى القاهرة راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذي فوضه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد امسكة بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه .

[المقريزي - الخطط 106]

ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء وهذا سر من اسرار **الله** اودعه في الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الايمان والكتاب.

[السيوطي - حسن المحاضرة 92/2]

والحقيقة ان **بيبرس** لم يردها ان تكن خلافة ظل كما يرى البعض ، قال ذات يوم : "الذي انفقته على الخليفة الف الف وستين الف دينار ذهب كل هذا رعاية لحق **الله** ورغبة في تعظيم شعائره ولكن الاقدار لا تعاند وما النصر الا من عند **الله** اذا اراد شيئا امضاه .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 76]

صار من بعده ملوك مصر الاتراك يقيمون رجلا يسمونه الخليفة ويلقبونه بلقب الخلفاء وليس له امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة ، بل يتردد إلى أبواب الامراء واعيان الكتاب والقضاة لتهنئتهم بالأعياد والشهور .

[المقريزي - السلوك]

أصبح واجهة دينية وشرعية دون ان يكون للخليفة سوى الدعاء على المنابر في صلاة الجمعة والخلافة خلافة صورية ليس له منها امر ولا نهى وحسبه ان يقال له امير المؤمنين .

الفصل الحادي عشر : يبرلس وتكوين الجيوش



بيبرس وتكوين الجيوش :

الحمد لله منمي النفوس ومزين سماء المملكة بأحسن الأهلة وأضوأ البذور وأشرق الشموس والذي شد أزر الإسلام بملوك يتعاقبون مصالح الانام وبتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين في مهمات الاجساد وملهمات الاجسام .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 204]

ما زال البعد الديني للدولة الناشئة بحاجة إلى عناصر جديدة لاستكمالها ، والحقيقة التي تفرض نفسها باستمرار على تاريخ المنطقة مؤداها ان كل دولة ارادت ان تبني لنفسها القوة والزعامة كان لابد لها من ان تبسط سلطانها على البحر الاحمر والحجاز حيث يوجد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، ماكان **لبيرس** ان يشذ عن هذا المنطق الذي يفرضه التاريخ وتحتمه الجغرافيا.

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 92]

كان **الظاهر** دائماً ما يتذكر امجاد **صلاح الدين** واياديه البيضاء على الأمة وما انجزه في توحيد العالم العربي الإسلامي .
كان **صلاح الدين** قد نجح في اقامة امبراطورية حكمها ثم توارثها اسرته من بعده والان جاء دور **الظاهر** كي يسير على دربه ويحذو حذوه ، لقد آن للدولة الإسلامية أن تسترجع مجدها الذي كان ، لقد جاء الظاهر يا صلاح الدين ، جاء سلطان يديم الجهاد أناء الليل وأطراف النهار .
فكان **الظاهر** يحكم من فوق فرس الجهاد اكثر منه من القصر .

[قاسم وعبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 249]

كان المبرر لقيام دولة **سلاطين المماليك** هو قيامها بدور القوة المدافعة عن دار الإسلام ، لقد ولدت من رحم الصراع ضد **الفرنج الصليبيين** الذين كانوا ما يزالون يحتلون بعض اجزاء من الارض العربية في بلاد الشام وتؤكد وجودها من خلال ذلك النصر المدوي الذي احرزته ضد **الفيالق المغولية** في

عين جالوت ، ولكن الدولة التي يجلس على عرشها **بيبرس** ظلت رهينة بأدائها للدور التاريخي المنوط بها اي بالقضاء على الاخطار الخارجية وحماية العالم الإسلامي .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك]

اما داخليا فشرع **السلطان** في اقامة الدولة **الصالحية** على ما كانت عليه من نواميس ورسوم وولي من اموره غلمان الشهيد **الملك الصالح** مثلما كان قد اختارهم فعظمت حرمة بابيه واستبشر الناس بأن **الله** ولى عليهم من يعرف امور المملكة وقوانينها وأبطل المحدثات وكتب باقامة الشريعة المطهرة .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 71]

ثم شمر **الظاهر** عن ساعده وافلح في ترتيب البيت المصري وراح يصلح النقاط العسكرية وتقويتها ، ويرمم ما بلي منها وقام ببناء ترسانات جديدة لكل من السفن الحربية وسفن النقل البحري للبضائع وبنى الجسور وقنوات الري وقنوات الملاحة كما عزز من الموانئ وبنى المساجد واعاد بناء كل القلاع الشامية التي دمرها المغول ، لقد أهتم بتحسين أطراف الدولة وثغورها واعاد بناء قلاع الشام التي خربها المغول من **حمص إلى حران** وشحنها بالمقاتلة وزودها بالموؤن والذخيرة فأمن بذلك خطا دفاعيا من الاردن إلى نهر العاصي .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك - دولة المماليك 93]

استطاع **السلطان** تكوين جيش قوي بلغ عدته اربعين الف فارس . كان فيما تقدم من الجند ينفقون مالهم فيما لا يرضي **الله** من الأمور المحبطة للأعمال اما الآن وفي عهد **السلطان ركن الدين** فالجند ليس لهم هم الا في تهذيب عدة الحرب ولا يقضي وقته الا في حسنة قد سطر **الله** اجرها وكتب ، والناس على دين الملك ولو حلف حالف أن احدا من العسكر ما انفق شيئا في شيء من ذلك لصدق ، واذا عبر الانسان بسوق السلاح لا يقدر على العبور من كثرة الخيل للأجناد الواقفين به ولم يبق

لاحد همه في شئ الا تكملة عدته النافعة وما بقي لاحد رغبة الا في
الاشتغال بعودة الحرب .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 199]

(40)

حتى بلغ عسكره اذا صفوا لكان اولهم في الفرات وآخرهم في عيذاب .

فاذا نودي بالجهاد لبس السلطان ولبست مماليكه لامة الحرب حتى لا
يعرف **السلطان** من بينهم فلا يخلعها حتى يصلي بمنزلة العدو شكراً لله .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 432]

والمماليك في عهد **بيبرس** صاروا بارعين في حروب الحصار .

[فرسان الإسلام - جيمس واترسون]

فكانت السنوات 1265 و 1266 م قد اصبحت سنوات رعب بالنسبة
للمسيحيين والمغول وحلفائهما .

[فرسان الإسلام - جيمس واترسون]

زاد حجم الجيش في عهد **بيبرس** إلى اربعين الف جندي .

[فرسان الإسلام 260 - جيمس واترسون]

نودي في العسكر بأن من جلب خمرا او شربها شق .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 258]

بل شق الطواشي **صدر الباز** من اجل انه شرب الخمر وعلقه تحت القلعة .

[المقريزي - السلوك 95/2]

ثم إن **بيبرس** هو مؤسس البحرية المملوكية فقد احيا الاسطول المصري بأن
بنى أربعين سفينة حربية .

(40) عيذاب ميناء علي ساحل البحر الأحمر في مثلث

حلايب، وقد لعبت عيذاب دوراً تاريخياً حيث كانت
نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية منذ خلافة ابي بكر
الصديق وعمر بن الخطاب و تواتر ورود المسلمين
عليها. كما ظل أهم موانئ الحجاج إلى مكة لمدة
أربعة قرون من القرن العاشر إلى القرن الرابع
عشر الميلادي، وخاصة بعد أن أغلق الصليبيون الحج
عن طريق الشام .

كما انه هو الذي أسس البريد فكانت القلعة المركز الرئيسي لأبراج الحمام الزاجل ، كانت الرسائل تشد تحت أجنحة الحمام أو إلى ذيلها على ورق يكتب بخط الغبار.

كانت الوظائف التي عرفها **المماليك** واخذوها من **الفاطميين والايوبيين** لا تفي بحاجة **الجيش** الأخذة في التطور والتوسع فأنشأ **الظاهر** وظائف جديدة لم تكن معروفة في ديار **مصر** من قبل.

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 150]



الفصل الثاني عشر : بيبرلس والإمارات الصليبية



بيبرس والامارات الصليبية :

بعد موقعة ملاذكرد 1071 م اتخذت الدعوة في غرب اوروبا لمحاربة المسلمين طابعا حماسيا اصطبخ بالدين صبغة واضحة .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

لا جدال ان المعركة افقدت البيزنطيين السيطرة على البوابة الشرقية لأوروبا المسيحية وقلبت موازين القوة ، ولا مبالغة انها رفعت من قدر ومكانة السلاجقة امام القوى المعاصرة انذاك وخاصة ان **السلطان ملك شاه** مد نفوذ السلاجقة من حدود الصين شرقا حتى بحر مرمرة وبحر ايجة غربا .

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين]

ثم ان خلفاء الامبراطور البيزنطي **رومانوس الرابع** طرخوا باب البابوية في روما وشرعوا يرسلون سفارة بعد اخرى إلى بابوات روما يستحثونهم للدفاع عن الكنيسة واهلها واسترداد الارض المقدسة من المسلمين .
برز من هؤلاء الاباطرة **كومنين** 1081-1118م الذي اتجه في حماسة نحو محاصرة **البابا اوربان الثاني** 1088-1099 م متبعا معه سياسة مرنة ذات مسحة دينية قوية .

آمن **اوربان** بفكرة شن حرب صليبية ضد المسلمين وارسال حملة إلى الشرق لاسترداد الارض المقدسة . ظهر نوع من التقارب بين الكنيستين الارثوذكسية في القسطنطينية والغربية الكاثولوكية في روما .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

رغم ان مسيحي الشرق الارثوذكس ومسيحي الغرب الكاثوليك لا يجمعهم مذهب ولا عقيدة ولا حياة ولا فكر وكلاهما يرى الآخر كافرا هرطقيا .

[بيزنطة والحروب الصليبية / عبد العزيز رمضان]

تحقق الترابط بين الكنيستين لنصرة المسيحية وكشف **اوربان** عن فكره ومشاعره ، فوقف امام اقطاب الكنيسة الغربية وطالب المسيحيين ان

ينبذوا المشاحنات القائمة فيما بينهم وان يوجهوا جهودهم ضد المسلمين ، فولدت الحركة الصليبية بين احضان الغرب الاوروي .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

25 نوفمبر 1095 م وفي مدينة كلير مونت جنوب فرنسا وفي الجلسة الاخيرة من جلسات مجمع كنسي شهدت المدينة راح **اوربان الثاني** حبر روما الاعظم يوجه دعوة عامة لمسيحي الغرب حاضريهم وغائبهم كي يحملوا الصليب ويولوا وجوههم شطر الشرق لانقاذ اخوانهم المسيحيين هناك من ويلات العذاب التي يتعرضون لها واستخلاص القبر المقدس من الانتهاكات التي تلحق

بهم على يد المسلمين
: " عليكم ان تسارعوا
لمد يد العون
لاخوانكم القاطنين في
المشرق الذين
يحتاجون إلى مساعدة
طالما التمسوها ، ان
الترك قد هاجموهم
وقتلوا واسروا
الكثيرين وهدموا



الكنائس ودمروا مملكة الله ، لذا وبصلاة خاشعة فإنني . لا بل الله وليس انا يدعوكم يا جنود المسيح ان تسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من اراضيها وتقدموا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الاوان " بهدف ديني زائف ، راح **اوربان** ينسج خيوط فكرة الحرب المقدسة واعدا جنود المسيح بغفران خطاياهم .

[بيزنطة والحروب الصليبية 14 / عبد العزيز رمضان]

بدأت الحركة الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي وهو القرن الذي شهد استيلاء القوى المسيحية على كثير من الممتلكات والمراكز الإسلامية بالاندلس مثل طليطلة .

دأبت السنين تحمل المحاربين من الغرب الاوروي إلى غرب اسيا عبر البحر المتوسط ، فلا يكاد يمر عام خلال القرنين الا وتخرج من الغرب الاوروي حملة صليبية وان كانت صورتها واهدافها واسلوب عملها قد اصابها واعتراها بعض التغيير ، مما جعل العديد من تلك الحملات لم تظهر برقم في التاريخ وجعلها تهمل في حقبة النسيان.

اما التي زينت برقم فيرجع ذلك لكونها حققت نجاحا عظيما او انها ابتليت بفشل ذريع او كانت بقيادة احد المشاهير ذات المكانة البارزة . والمسيحية شأنها شأن غيرها من الديانات السماوية ولدت بين افاق الشرق ، وبما أن الهدف الاساسي استعادة المقدسات المسيحية واستردادها من ايدي المسلمين فإن هذه المقدسات وجدت كلها في الشرق .

انتشر الدعاة في المدن والقرى والطرق يدعون الاهالي للخروج لتخليص مقدسات المسيح وفشت الدعوة الصليبية غرب اوروبا كالنار في الهشيم.

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

حتى تكونت حملة العامة بقيادة بطرس الناسك ووالتر المفلس يناصرهم مائة وخمسة وعشرون الفا بين كهول وشيوخ ورجال واطفال ونساء اغلبهم معدمين فقراء آثروا الموت في الأراضي المقدسة على حياة الضنك في اوروبا .

كان الصليبين فريقين الاول حملة الامراء بدون ملوك اوروبا ، والثاني حملة العوام وهي جموع شبه غوغائية لا ضابط لها .

من قلب اوروبا اتخذت الجموع طريقها إلى الشرق سالكة طريق البلقان . اصطدمت حملة العامة بفرسان السلاجقة بعدما سهل الامبراطور البيزنطي لهؤلاء العوام العبور إلى الشاطئ الاسيوي ، ألحق السلاجقة بهم هزيمة منكرة ساحقة عند " نيقيا " فتحولوا إلى كومة من الأشلاء ولم ينج منهم الا القليل .

اما حملة الامراء فتمكنت
من التغلب على العقبات
التي اثيرت امامهم سواء
من الامبراطور البيزنطي
في القسطنطينية او
الأتراك السلاجقة وغيرهم
من مسلمي الشرق ،
دأبت تلك الحملة على
تسليم الاراضي التي
تستردها من السلاجقة في
الاناضول للقوات



البيزنطية ويكفيهم على حد تعبيرهم انهم طهروا الأرض من ايدي الأعداء.
لما وصل الصليبيون كيليكيا⁽⁴¹⁾ عند دولة الأرمن ، اخذوا في اظهار
اطماعهم في تأسيس كل امير منهم امارة لنفسه في الشرق وهكذا قامت
امارة الرها ، ثم سارعوا في حصار انطاكية حتى سقطت في ايديهم 1098 .

(41) اقليم قديم فى جنوب شرق اسيا الصغرى بين
البحر المتوسط و جبال طوروس. خضع الاقليم
للاشوريين و الفرس و ضمه اسكندر الاكبر
لامبراطوريته ، و بعد وفاته اتنازع عليه
البطالمة فى مصر و السلوقيين فى اسيا . فى سنة
1080 كون الارمن فيه دولة عرفت باسم مملكة
ارمينيا الصغرى. استولى عليه المماليك سنة
1375.



والانتصارات التي حققها الصليبيون انما مرجعها ما كان بين القوى الإسلامية من تنافس وعداء . لقد كانت الجبهة الإسلامية مفككة ، فكانت الخلافة الفاطمية في القاهرة العدو الأكبر للخلافة العباسية حتى انهم

استمالوا الصليبيين ضد اهل السنة واقتسام الممتلكات في المنطقة بحيث يكون للصليبيين انطاكية ويكون بيت المقدس للفاطمين .

وبينما الصليبيين متعثرين في انطاكية خرج الوزير الافضل الفاطمي وانتزع بيت المقدس ، ثم ارسل الفاطميون للصليبيين وهم في طريقهم إلى هدفهم المنشود يعدونهم بتسهيل مهمة الحجاج النصارى لبيت المقدس ، ولكن كشف الصليبيون عن نواياهم واجابوهم بأنهم سيباشرون الحج فعلا ولكن ليس بمعونة انسان وإنما بمعونة **الرب** وارادته .

ثم كان الصدام بين الطرفين الذي أسفر عن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس 1099 عندما احدثوا مذبحة مريرة بين المسلمين حيث قاموا بقتل ما يزيد عن سبعين الف مسلم لاذوا بالمسجد الاقصى فذبحوا بداخله .

ثم انزل الصليبيون بالفاطمين هزيمة ساحقة عند عسقلان ثم اخذوا من المسلمين الجليل وطبرية وبيسان ويافا وبعض المدن الاخرى .

وفي العام التالي 1100 استولوا على ارسوف ويافا ثم عكا 1104م وبيروت وصيدا 1110 م .

اكتملت صورة الكيان الصليبي في ارض الشام بقيام امارتي الرها وانطاكية ومملكة بيت المقدس واكتملت اكثر بقيام اماره طرابلس .

حتى انقضى الربع الاول من القرن الثاني عشر ودولة الصليبيين في الشرق قد بلغت اوجها.

وفي ذلك الوقت امن الصليبيون على انفسهم في الشرق عندما اخذت تتداعى امامهم كافة القوى الإسلامية " السلاجقة و الفاطميين والخلافة " اضافة إلى ظهور الحشيشة الباطنية الذين استهدفوا قتل ما يجدونه من زعماء اهل السنة .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

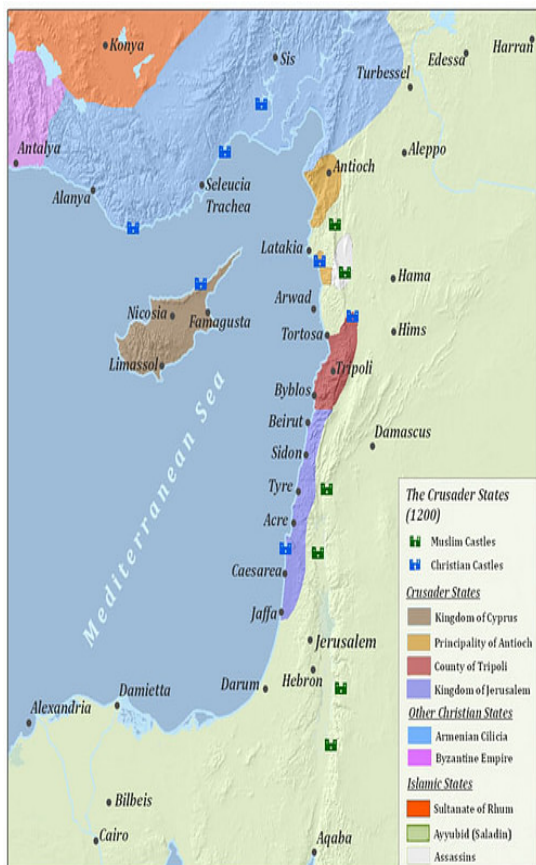


غدت بلاد الشام وكأنها بحر من الفوضى وعدم الاستقرار إذ انقسموا إلى خمس ممالك متنافسة مما سهل وساعد الصليبيين فيما بعد ليلتهموا هذه القوى كل على حده .

حتى غدا ساحل الشام بأكمله في ايدي الصليبيين 1131 م مع نهاية عهد بلدوين الاول .

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول و الصليبيين]

في وسط كل ذلك ظهر على مسرح الاحداث **عماد الدين زنكي** اتابك الموصل 1127 م لتبدا مرحلة جديدة في مسيرة الحركة الصليبية .



كان **عماد الدين** يؤمن بأن ما حققه **الصليبيون** لم يرجع لقوتهم بقدر ما يرجع إلى تفكك الجبهة الإسلامية فراح يعمل على اقامة وحدة اسلامية من الفرات إلى النيل ، بدأ رحلته من **الموصل** ثم استولى على **نصيبين** ثم **حران** ثم **حلب** ، وكان لاستيلاء **زنكي** على حلب اول رباط الوحدة الإسلامية .

ثم جاء من بعده ابنه **نور الدين محمود** ⁽⁴²⁾ فلعب دورا عظيما حتى تم له الاستيلاء على **دمشق** وادخالها تحت سيادته 1154 م .

وبذلك نجح **نور الدين** في اقامة

جبهة اسلامية في شمال الشام تضم حلب وحماة وحمص ودمشق فأغلق

(42) الملك العادل أبو القاسم نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي الابن الثاني لعماد الدين زنكي بن آق سنقر، خير تركة خلفها عماد الدين زنكي، وضع هدفا نصب عينيه تحرير بلاد المسلمين واستردادها وتوحيدها تحت راية الإسلام ، واستكمال ما بدأه والده الشهيد، . قال عنه ابن الأثير: "قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين"

الباب أمام أي
محاولة صليبية
للتوسع شمالا ،
فلم يبقى لهم
سوى مصر في
الجنوب الغربي .

ثم ان تطور
الاحداث في تلك
الحقبة ساعد في
ظهور صلاح
الدين في الربع
الاخير من القرن
الثاني عشر فكان
حريص على ان



ينظر بعين إلى الشام وبعين اخرى إلى مصر .

غدت القوات الصليبية في بلاد الشام تحت رحمة **صلاح الدين** بعد حطين
دمر كثير من حصونهم وخرب العديد من قلاعهم في عامي 1187-1190م
واستولى **الناصر** على الناصرة وقيسارية وحيفا وغيرها من الموانئ والحصون
، واستولى على صيدا وبيروت وعسقلان وبيت المقدس .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

وفي خلال اقل من عامين جرد **صلاح الدين** الصليبيين من ممتلكاتهم في
الشرق ، لم يترك لهم سوى طرابلس وانطاكية وصور .

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين]

كان لوقوع الرها خاصة في ايدي المسلمين صدى عميق في الغرب الاوربي
مما ادي إلى حملة صليبية جديدة ضد المسلمين في الشرق .

تألفت من شطرين الاول بقيادة **كونفراذ الثالث** والثاني بقيادة **لويس**
السابع .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

البيزنطيين في عداد **المسيحيين** الحقيقيين بل ينبغي قتلهم دون تأنيب ضمير

راح الحزب المعادي ل**بيزنطة** تحت قيادة **جودفري** يروج لفكرة الهجوم على **القسطنطينية** .

على ابواب **القسطنطينية** راح **جودفري** يلح على **لويس** في ضرورة الاستيلاء عليها مبررا ذلك بأنها ليس لها من **المسيحية** الا اسمها فلا بد من الاستيلاء على مدنها وقلاعها وان لابد من تذكر فعلتهم حين هاجموا **انطاكيا الصليبية** وان حاكمها الحالي وريث هذه الجريمة المخزية ولا يزال يحتفظ لنفسه بأملاك استولى عليها أبيه بالعدوان .

راح رجل الاخلاق المقدسة والبالغ الحكمة يتفنن إلى اقصى مدى في اختلاق الأدلة على ان فتح عاصمة بيزنطة لن يلحق بالصليب اي ضرر بل ان فتح **القسطنطينية** بات عملا لا ينقض **المسيحية** في شئ .

[**بيزنطة والحروب الصليبية 40** / عبد العزيز رمضان]

كان البيزنطيون يخشون الاغريق حتى وهم يحملون لهم الهدايا يعلمون جيدا نظرتهم اليهم " **كنيسة مارقة ودوله خائنة** " ، فأختاروا ان يكونوا مائلين إلى الحذر في تعاملهم معهم وان يغلّقوا ابواب مدينتهم امام وجوهم ويبيعوا لهم ما يحتاجون اليه من طعام بادلال السلاسل المربوطة بالحبال من فوق الاسوار .

[**بيزنطة والحروب الصليبية 45** / عبد العزيز رمضان]

يقول رانسيमान : كانت تلك خاتمة ملائمة **للمهمة الثانية** ، ما من حملة في العصور الوسطى تضارع تلك الحملة التي خرجت ، وقد انعقدت عليها امال بالغة الروعة اذ وضع خطتها **البابا** ودعا اليها واوصى بها **القديس برنارد** بما اشتهر به من فصاحة وقادها **اعظم ملكين** في الغرب فبدت وكأنها تبشر بمجد **العالم المسيحي** وخلصه غير انها لما بلغت نهايتها المشينة المذلة كان كل ما انجزته انها جعلت العلاقات بين **المسيحيين** في الغرب والبيزنطيين من المرارة ما يؤدي إلى القطيعة بينهم .

[**بيزنطة والحروب الصليبية 48** / عبد العزيز رمضان]

تعرضت الاولى بقيادة **كونفراذ الثالث** امبراطور المانيا إلى ضربة قاسية على ايدي السلاجقة .

واما **الشرط الثاني** بقيادة **لويس السابع** ملك فرنسا فقد استطاع الوصول إلى بيت المقدس وبدأ الهجوم على دمشق ولكنهم تعرضوا لمقاومة شديدة من المسلمين فاضطروا إلى الانسحاب وفشلت في تحقيق اهدافها .

الحملة الصليبية الثالثة :

اخذ **الصليبيون** يستنجدون **بالبابوية** وملوك وامراء الغرب لانقاذ الجبهة **المسيحية** من وطأة **صلاح الدين** .

كان على رأس من استجابوا لتلك الدعوة **فريدريك بربروسا** امبراطور المانيا و**ريتشارد قلب الاسد** ملك انجلترا و**فيليب اغسطس** ملك فرنسا .

في تلك الحملة وقفت عكا موقفا صلبا وقاومت الحصار حتى اضطرت إلى الاستسلام 1191م ، ثم استولوا على **ارسوف** مما بث في الجبهة **الصليبية** قدرا كبيرا من الثقة والقدرة على الثبات غير ان محاولة **ريتشارد** لاسترجاع **بيت المقدس** لم تفلح حتى جائته الاخبار بأن الاوضاع في بلده في غرب اوربا تتطلب عودته فعقد صلح الرملة مع المسلمين 1192 م وانصرف عائدا إلى بلاده .

كان صلح الرملة ينص على ان يكون للصليبيين من صور إلى يافا بما فيها **قيسارية** و**حيفا** و**ارسوف** وتكون **عسقلان** للمسلمين واما الرملة واللد ، فتكون مناصفة بين المسلمين والصليبيين ، صار بعده مملكة بيت المقدس مقرها عكا التي غدت قاعدة المملكة .

الحملة الصليبية الرابعة :

بعد موت **صلاح الدين** حرص الصليبيين على استرداد بيت المقدس ومحو اثار حروب **الناصر** ، فأخذ **البابا انوسنت الثالث** 1198 م يعد الحملة **الصليبية** الرابعة على ان تكون مصر هي وجهتهم .

اتجهوا نحو موانئ الدولة البيزنطية واقتحموها ونسوا ان اهلها مسيحيون مثلهم فنهبوا دورهم .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

وهكذا انحرفت الحركة الصليبية عن طريقها وبعد ان كان هدفها استعادة بيت المقدس صار الهدف ضرب المسيحيين بعضهم البعض .

ان هذ الشكل من الحروب المقدسة كان مقيتا بالنسبة للبيزنطيين ، حان الوقت لمسيحي الغرب ان يتحقق لهم هدفهم المنشود وحلمهم الاثير الذي طالما تاقوا الية منذ اللحظات الاولى لقيام مشروعهم المقدس .

واما بيزنطة فما هي الا كنيسة ضالة مهرطقة واتباعهم اعداء للمسيح والعذراء وأن الآوان قد آن لتخليص صليب الصلبوت من ايديهم ولابد من يساهم في غزو القسطنطينية ان تغفر له خطاياه .

استولى الصليبيون على كل شئ جميل احتوته المدينة لم يفلت من ايديهم احد ، اغتصبوا الراهبات في عقر اديرتهن ودخل الجند السكارى كنيسة آيا صوفيا واجلسوا عاهرة على العرش البطريكي وجعلوها تغني اغاني بذية وترقص رقصات رخيصة امام المذبح وركلت الكتب المقدسة ووقعت تحت الاقدام بينما استخدمت الاواني الطاهرة اقداحا للخمر .

انكشف زيف جند الرب وبهتان الصليبيات والحرب المقدسة واثبت الغرب الاوروي نفسه ان حركة تلك لم تكن الا مشروع استعماري استهدف من خلاله احتلال اراضي المسلمين والمسيحيين على السواء .

[بيزنطة و الحروب الصليبية 65/ عبد العزيز رمضان]

الحملة الصليبية الخامسة :

ازداد احساس دعاة الحروب الصليبية والمتحمسين لها بأن مفتاح بيت المقدس موجود في القاهرة وان اذا ما اراد الصليبيون اقامة آمنة في بلاد الشام فإن عليهم ان يبدأوا بالاستيلاء على مصر .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

وان مصر رأس الافعى وان مفاتيح بيت المقدس في مصر وليست في الشام.

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين]

سيطرت هذه الافكار على ملك عكا فخرج على رأس حملة قاصدا دمياط 1218 م ، لم تستطع دمياط الثبات اكثر من تسعة اشهر لصغر حاميتها وضخامة جيش الفرنجة .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

عرض **الكامل** سلطان مصر على الصليبيين كل فتوحات **صلاح الدين** فيما عدا الكرك والشوبك مقابل الخروج من دمياط ولكنهم رفضوا .

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين]

ثم كان الفيضان ، وعندما اتجه **الصليبيون** جنوبا بحذاء النيل فتح الاهالي الجسور فغرقت الارض حتى انهم لم يتمكنوا من الانسحاب من دمياط والعودة إلى بلاد الشام الا بصعوبة .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

طلبوا صلح وهدنة من خلاله يخرج **الصليبيون** من دمياط مقابل اطلاق سراح اسراهم .

[الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين]

الحملة الصليبية السادسة :

خرج الامبراطور **فردريك الثاني** على رأس حملة صليبية 1228م قاصدا بلاد الشام ، كان الامبراطور قد ارتبط بروابط صداقة بين **السلطان الكامل** ، وبعد مباحثات ومصادمات انتهت امر هذه الحملة بعقد صلح يافا بين **فريدريك والكامل الايوبي** 1229 م ، على ان ياخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم وتبنين والناصرة وصيدا .

أدى استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بتلك السهولة إلى موجة عارمة من السخط في العالم الإسلامي .

[الحركة الصليبية في العصور الوسطى / عبد الفتاح عاشور]

القلع الصليبية في الشام :



كان الصليبيون قد استفادوا من الموانع الطبيعية من بحار والنهار وجبال وتلال من اجل اتخاذها كحد طبيعي يجلب لهم الأمان قدر الامكان ، ثم دعموا تلك الحصانة الطبيعية بأخرى صناعية من خلال اقامة العديد من القلاع والحصون على الاراضي الواقعة في حدود املاكهم التي اغتصبوها في بلاد الشام ، ونظرا لقلة اعداد الغزاة في مواجهة اهل البلاد المسلمين لم يكن امامهم سوى تشييد القلاع والحصون من اجل تثبيت اقدامهم في المنطقة ومن اجل تغيير معالم الارض واشعار المسلمين بالاذلال والمهانة وان واقعا سياسيا جديدا يفرض امام اعينهم .

ولا ريب بأن تلك القلاع وفرت نوعا من الأمن النفسي للغزاة واشعرتهم بالأمن وسط ذلك المحيط المعادي لهم بالاضافة ان تلك القلاع بنيت على طراز محاكي لما في اوطانهم .

ان تشييد القلاع امرا ضروريا بالنسبة للغزاة **الصليبين** من اجل ادارة الاقطاعات العسكرية التي اقاموها ولتحصيل الرسوم المفروضة على القوافل التجارية التي كانت تمر بالارض التي اخضعوها لسيطرتهم ، بل ان من اهم الاسباب لتشييدها حرص الغزاة على اخضاع منابع ومصبات ومسارات الانهار والبحيرات العذبة قدر المستطاع من اجل حرمان المسلمين من ميزة التفوق المائي .

ثم انها بعد ذلك عملت على جذب جموع المستوطنين لتلك المستعمرات من الغرب الاوروي لمواجهة الكثافة السكانية لاهل البلاد الاصليين .
لقد ساعد انشاء القلاع **الصليبين** في استقدام **المستوطنين الاوروبيين** الذين استقروا في المستعمرات التي شيدت في **الضفة الغربية** مثل **البيرة** و**الصبيبة** و**كفر مالك** ، وعلى الرغم من ضيق المساحة التي اقام عليها **الصليبين** **قلاعهم** إلا انهم اقاموا اكثر من **مائة قلعة** بعضها قام على بقايا قلاع بيزنطية واسلامية .

لم يتأخروا يوما في اقامتها بل كانوا في سباق محموم مع الزمن من اجل فرض واقع عسكري على المنطقة لا يستطيع المسلمون له دفعا .
حشد الصليبيون لها الاموال الطائلة والأعداد الغفيرة من اسرى المسلمين وعملوا على تحصينها بالابراج والأسوار والسقاطات والمزاغل والمتاريس كل هذا ادى إلى دعم الكيان الصليبي في المنطقة ، ويعد الملك **الصليبي بلدوين الاول** 1100م المؤسس الفعلي لمشروع تشييد القلاع ، كما ان **عموري الاول** قد اتجة ان يعهد للتنظيمات الدينية الحربية الصليبية بعدد من القلاع 1167 م وشاركه نفس السياسة بعض القوى السياسية الصليبية الاخرى .

من امثلة تلك القلاع الصليبية في ساحل الشام :

- N. قلعة بغراس:** في قرية بين انطاكية وكيليكيا بجوار قلعة دربساك
- O. قلعة القصير :** كان لها مكانة خاصة اذ كانوا يميزونها ويؤثرونها على غيرها.
- P. قلعة اركاس :** جنوب جزيرة ارواد قريبة من بعلبك اللبنانية .
- Q. قلعة عكار :** شمال طرابلس نقطة الاتصال بين حصن الاكراد وبقية الحصون والقلاع على طريق مدينة حمص .
- R. قلعة القرين :** غرب الجليل شمال شرق عكا قريبة من صفد حرس مدينة صور وصيدا ووفرت قدرا من الحماية للصليبيين في منطقة الجليل الأعلى
- S. قلعة صفد :** بالقرب من بحيرة طبرية تطل على كافة الاراضي الواقعة في منطقة الجليل.
- T. قلعة ارسوف :** على ساحل فلسطين بين قيسارية ويافا على رابية صغيرة احاطتها الرمال بالقرب من الساحل .
- U. حصن الاكراد :** بالقرب من دمشق في الممر الواقع بين سهول نهر العاصي والبحر المتوسط حصن جليل ، من اكبر واكمل العمارات الصليبية التي لا تزال قائمة
- V. صافيتا :** بين طرسوس وحصن الاكراد استصغرها لويس بعد عودته من مصر فزاد عمارتها .
- NM. عثليت :** بين حيفا وقيسارية اقامها الصليبيون بعد بناء العادل ابو بكر الايوبي قلعة الطور فوق جبل الطور لمواجهة الصليبيين .
- NN. تبنين :** في مواجهة ساحل صور في الجنوب الشرقي بانياس من اتفاقية يافا المشؤومة وافق على منحها الكامل الايوبي لفردريك

.NO هونين: على جبال عاملة على حدود مملكة بيت المقدس الشمالية .

.NP الفولة: الشمال الغربي من بيسان جنوب غرب الطور .

.NQ الصببية: بالقرب من مرتفعات الجولان قدمها الصليبيون للحشاشين نكاية في اهل السنة .

[تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام - محمد مؤنس عوض]

لقد اثبت **عماد الدين زكي ونور الدين محمود** انه يمكن اكتساب المزيد من الارض من الفرنجة ولكن نجاح **صلاح الدين** الساحق في **حطين** هو الذي اذن بنهايه الممالك الصليبية ولكن مات **الناصر** ففاق الصليبيين من انتكاستهم وازدادوا تمسكا بعناد على الاراضي الساحلية لبلاد الشام ولكنهم فقدوا **القدس** فكان يتعين على الإسلام ان ينتظر فتره اطول من اجل ان يبرز مثل ذلك البطل في صورته السلطان المملوك وليكون مؤهلا لقيادته حملة الجهاد ليوجه ضرباته القوية من اجل دحر الكفار من حصونهم المنيعه .

[جيمس و اترسون - فرسان الإسلام 74]



جهود الظاهر بيبرس في تطهير ساحل الشام من الصليبيين :

عندما ولي **بيبرس** السلطنة كانت اراضي الفرنجة تمتد بطول الساحل من غزة إلى كيليكية وعلى مدى حكمه الذي استمر **سبعة عشر عاما** حصر الفرنج في مدن قليلة "عكا وصور وصيدا وجبيل وطرطوس واللاذقية وقلعتي عثليت ومرقب " ولم يطل به العمر ليشهد ازلتها ، وجرد الإسماعيلية من جميع قلاعهم فضلا على ما أسترده من التتار .

1. قيسارية (43) :

لما بلغ **السلطان** أن التتار قد جمعوا ونزلوا **البيرة** وثب وثبة الاسد المفترس واندفع اندفاع السيل المحتبس واخذته الحمية للاسلام ومنع جنبه ان يضجع وعينه ان تنام.

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 222]

فلما نزل **السلطان** غزة ورده خبر ان العدو نصب على **البيرة** سبعة عشر منجنيقا فكتم ذلك وكتب إلى الامير **ايغان** : " متى لم تدركوا قلعة **البيرة** والا سقت اليها بنفسي " ، ثم رحل السلطان عن غزة ونزل قريبا من صيداء فورد البريد من **دمشق** وهو في الحمام فلم يمهل وقرأ عليه الكتاب وهو عريان فإذا هو يتضمن ان **المنصور** صاحب حماة قد وصل **للبيرة** لمساندة الأمير **ايغان** وان التتار عندما شاهدوه هربوا ورموا مجانيقهم واغرقوا مراكبهم .

[المقريزي - السلوك 17/2]

فأتجه إلى قيسارية ثم كتب السلطان للأمرء : " ألا يتحركوا من مكانهم حتى ينظفوا جميع الخندق وينقلوا الحجاره التي فيه " .

(43) تقع في فلسطين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهي من أقدم المناطق التي سكنها البشر، تقع قيسارية إلى الجنوب من مدينة حيفا، وتبعد عنها حوالي 37 كم

وبينما كان السلطان يحارب في البحر كان الحماس بالغاً أشده في الفقراء والدراويش والنساء الذين تجمعوا بحفر الخنادق .

[وليم موير - تاريخ دولة المماليك 52]

فوردت كتب الأمراء وهم يصفون ما يجدونه من حمل التراب بأنفسهم ونقل الحجارة ، فصادف ذلك ان السلطان واقف على سور قيسارية وهو يهدم بنفسه وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده فكتب على الجواب : "انا نحمد الله تعالى ما تخصصنا عنكم براحة ولادعة ولا انتم في ضيق ونحن في سعة ، وما منا الا من هو مباشر الحروب الليل والنهار وناقل الحجارة ومرابط الكفار فقد تساوينا في هذه الأمور وما ثم ما تضيق منه الصدور "

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 226]

سقطت المدينة على الفور واستسلمت حاميتها بعد اسبوع واما المدينة والقلعة فقد دمرهما **بيبرس** وسواهما بالارض .

2. صفد ⁽⁴⁴⁾ :

انطلق **السلطان** بجيش يقوده بنفسه نحو عكا ولكن سرعان ما تحول فجأة إلى صفد التي كانت حينئذ في حوزة فرسان المعبد " الداوية - هي طائفة نشأت على أساس حربي سنة 1118م / 512هـ واتخذت من ساحة المسجد الاقصى مقراً لها تابعة للبابوية مباشرة " .

[رانسيما - تاريخ الحروب الصليبية 250/2]

في البدايه تمكنت الحامية الصليبية من صد أول الهجوم ثم تمكنوا ايضا من صد الثاني والثالث ، فلما وصلت المجانيق وعجزت عن حملها الجمال جهز السلطان الامراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب وخرج السلطان بنفسه يجر أخشاب المجانيق مع البقر .

(44) صَفَدُ هي إحدى مدن فلسطين التاريخية، تقع المدينة في منطقة الجليل، كما تُعتبر واحدة من أكثر مدن البلاد ارتفاعاً عن سطح البحر بحوالي 900 متر فوق سطح البحر.

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 257]

لو رأيت كيف نقلنا المجانيق اليها في جبال تستصعبها الطيور وكيف سرنا في جرها على مناكدة الاوصال ومكابدة الامطار ، وكيف نصبناها على أمكنة ينزلق عليها النمل اذا مر .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 380]

وعد الحجارين انه من اخذ أول حجر كان له مائة دينار وكذلك الثاني إلى العشرة وأمر حاشيته الا يشتغلوا بخدمته .

تفرق الناس من شدة التعب فغضب السلطان وقال : " **المسلمون على هذه الصورة وانتم تستريحون** " ، وقبض على **نيف واربعون** اميرا وقيدهم وسجنهم ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم .

[المقريزي - السلوك 34/2]

ارسل السلطان المنادين يعلنون منح العفو لكل من يستسلم ، وسرعان ما اكتشف **فرسان المعبد** استحالة الصمود فأرسلوا إلى السلطان يعرضون الاستسلام .

اعيد بناء **صفد** ونقش على جدرانها قصه تدل على الفخر :
اسكندر زمانه وعماد الدين الذي حول الكنائس إلى مساجد ، ورنين النواقيس إلى اصوات المؤذنين وقراءة الانجيل إلى ترتيل القرآن .

[وليم موير - تاريخ دولة المماليك 54]

استولى **السلطان** على صفد ومن ثم استولى على الجليل كله ، وأضحت حدود عكا على مرأى من الجند .

قسمت عمارة صفد على الأمراء ، وأخذ **السلطان** لنفسه نصيبا وافرا ، وأقيم في عمارة القلعة وأبراجها الأمير **سيف الدين الزيني** ، وعمل لها أبواب سر إلى الخندق ، فلما كملت كتب على أسوارها :

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون "
أمر بتجديد هذه القلعة وتحسينها ، وتكميل عمارتها ، وبعد ما خلصها من أسر الفرنج الملاحين ، وردّها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين ، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرة ، وجعلها

للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرؤوس ، **السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس** ، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين ، فليجعل له نصيباً من أجره ، ولا يخله من الترحم في سره وجهره ، فقد صار يقال عمر الله صرحها ، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين .

[المقرئزي - السلوك]

3. **عثليت** (45) :

لما صار **السلطان** إلى **عثليت** فر **الفرنج** إلى المراكب وتركوا قلعتها فدخلها الامراء بعدما قتلوا عدة من **الفرنج** وبعدها اسروا كثيرا وخربوا المدينة والقلعة واحرقوا ابوابها وعادوا بالاسرى والرؤوس والغنائم سالمين .
امر **السلطان** بتشعيثها وقطع اشجارها فقطعت كلها اثرا وخربت ابنيتهما فلم يدع لها اثرا ، ثم استولى على عرقه وحلباء والقليعات وعكار وصافيتا .

[المقرئزي - السلوك 33/2]

4. **عكا** (46) :

(45) قلعة تقع على ساحل البحر المتوسط على بُعد حوالي 13 كيلومتراً جنوب حيفا. بدأ بناءها فرسان الهيكل (الداوية) سنة 1218، أثناء الحملة الصليبية الخامسة، لتحل محل قلعة أقدم كانت أبعد قليلاً من الساحل، ولتصير واحدة من أهم الحصون الصليبية، انتزعها المماليك في أغسطس 1291، بعد فترة وجيزة من فتح عكا، وظلت أطلالها صامدة حتى دمرها زلزال الجليل سنة 1837. تقع أطلال القلعة حالياً ضمن منطقة تدريب خاصة بقوات الكوماندوز البحريين الإسرائيلية. يصفها أحد المؤرخين بأنها «أكمل مثال للعمارة الحربية الصليبية».

كانت من قبل كتبهم مضمونة طلب فسخ الهدنة والندم عليها وكان قد كتب اليهم **السلطان** : "ان كنتم باقين على العهد والا فما لنا شغل الا **الجهاد**"

اما الان وقد اقترب منهم جيش السلطان فصارت كتبهم انهم باقون على العهد مستمسكون باذيال المواثيق ، كانوا قد بنوا الحصون وازدادوا في رفع الاسوار فكتب اليهم السلطان ان البلاد لا تحفظ بالاسوار وانما تحفظ بالسيوف والعزائم فإننا جعلنا حصنا خيولنا وخذادتنا سيوفنا واسوارنا رجالنا .

ثم ارسل إلى صاحب المدينة : "ان من يريد ان يتولى امرا ينبغي له ان يكون فيه يقظة ومن خفي عنه خروج هذه العساكر وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيثان في المياة من كثرة هذه العساكر ، ولعل بيوتكم ما فيها موضع الا ويكنس منه التراب الذي اثارته حوافر خيلنا ولعل وقع سناكبها قد اصم اسماع من وراء البحر من الفرنج والتتار، اذا كانت هذه العساكر تصل جميعها إلى ابواب بيوتكم ولا تدرون فأى شيء تعلمون" .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 152]

نحن ما اذينا لكم زرعا ولا غيره وسيرنا الاسرى إلى نابلس ومنها إلى دمشق ولم تسيروا انتم احد ولم ترحموا اهل ملتكم كل هذا لكي لا تبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم ، فلما اعلمناكم بوصول الاساري اشرتم بتسفيرهم في البحر إلى قبرص فأخذوا وقيدوا وضيق عليهم فالآن تردون ما أخذتم للاسلام وتفكون اسرى المسلمين جميعهم وغير ذلك لا أقبل . فقالوا لا ننقض الهدنة ونطلب مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها ونحن نزيل شكوى النواب جميعهم ونفك الاسرى .

(46) من أقدم وأهم مدن فلسطين التاريخية، تقع اليوم في شمال فلسطين على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. تبعد عن القدس حوالي 181 كم إلى الشمال الغربي.

قال السلطان كان هذا قبل خروجي إلى هذا المكان في هذه الامطار وهذا الشتاء ووصول العساكر إلى هنا ، ثم امر بهدم كنيسة الناصره فهدمها إلى الارض ولم يجسر احد من الفرنجة ان يخرج من باب عكا ولا يتكلم بكلمة وكانوا من قبل يقولون ان احدا لم يجسر على ان يقرب منها ، ثم امر الناس بلبس السلاح ورتب العسكر في الصباح .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 156]

ارسل صاحب عكا للسلطان بهدية وحصل الاتفاق بينهما فتوجه **ابن عبد الظاهر وكمال الدين ابن الشيخ** لاستحلافه فدخل عكا وقد وصاهما **السلطان** الا يتواضعا .

ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح ، وأركب ناس معه ، وساق إلى عكا . فإذا الفرنج قد حفروا خندقاً حول تل الفضول ، وجعلوا معائر في الطريق ، ووقفوا صفوفاً على التل ، فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه ، وشرع الجميع في ذكر **الله** وتهليله وتكبيره ، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم . ولوقت ردمت الخنادق بأيدي غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين ، وصعد المسلمون فوق تل الفضول ، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة

وامتدت الأيدي إلى ما حول عكا من الأبراج فهدمت ، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها . وساق العسكر إلى أبواب عكا ، وقتلوا وأسروا عدة من الفرنج ، ساعة واحدة ، والسلطان قائم على رأس التل يعمل في أخذ رأي المدينة ، والأمراء تحمل على الأبواب واحداً بعد واحد . ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج في الخنادق ، وهلك منهم جماعة في الأبواب . فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذي نقب ، وقد تعلق حتى رمي بين يديه ، وأخذ منه أربعة من الفرسان ونيّف وثلاثون رجلاً ، وبات السلطان على ذلك . فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكاناً مكاناً ، وعبر على الناصرة حتى شاهد خراب كنيستها وقد سوى بها الأرض ، وصار إلى الصفة التي بناها قبالة الطور ، فوافاها ليلاً وجلس عليها.

5. يافا⁽⁴⁷⁾:

سار السلطان من العوجاء إلى يافا فملكها في نفس اليوم ثم أمر بهدمها ، هدمت القلعة واخذت اخشابها والواح رخامها وسيرت إلى القاهرة ورسم بعمل مقصورة في الجامع الظاهري بالحسنية والرخام لمحرابه فعمل ذلك ، امر ببناء الجوامع والمساجد بها واطهار شعائر الإسلام وازالة المنكرات ورسم ان المال المتحصل من هذه البلاد لا يغمس في غيره وقال هذه بلاد فتحها الله على يدي فأختار ان يكون مأكوله ومشروبه من هذا المال مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم وغزوة بني النضير وهي أول ارض افاءها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 293]

6. حيفا⁽⁴⁸⁾:

(47) من أهم مدن فلسطين التاريخية. تقع اليوم ضمن بلدية "تل أبيب - يافا" ، على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وتبعد عن القدس بحوالي 55 كيلومتر إلى الغرب. كانت لفترة طويلة تحتل مكانة هامة بين المدن الفلسطينية الكبرى من حيث المساحة وعدد السكان والموقع الإستراتيجي، حتى تاريخ وقوع النكبة عام 1948، وتهجير معظم أهلها العرب.

(48) استولى الفرنج على بيت المقدس عام 1099 م بقيت حيفا تابعة للدولة الفاطمية وكان لها فيها حامية صغيرة. وفي 1100 م وصل إلى حيفا أسطول بندقية من مائتي سفينة. بقيت حيفا في أيدي الفرنجة إلى عام 1187 م حيث عادت للمسلمين إثر انتصار صلاح الدين في معركة حطين في تلك السنة. وقبل سقوط عكا بأيدي الأوروبيين عام 1191 م بقليل، أمر بهدم أسوار حيفا وحصونها بعد أن

بعد ايام ظهر **بيبرس** عند **حيفا** وكان اهلها قد شعروا بالخطر مسبقا فهربوا في قوارب تاركين المدينة والقلعة فدمرهما الجيش اما من أثر البقاء فكان مصيره القتل .

7. **ارسوف** ⁽⁴⁹⁾ :

وفي عام 1265 م انطلق **السلطان** نحو ارسوف ولم يمضي سوى ثلاثة ايام حتى استسلم قائد القلعة بعد ان فقد ثلث فرسانه فأسروا جميعا .
اباح **السلطان** القلعة للمسلمين وكان في اسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا تلك الساعه واخذت قيودهم فقيد بها الفرنج ، ثم شرع في هدم

أخلتها حاميتها. وبموجب صلح الرملة عام 1192 م كانت حيفا ضمن المنطقة الساحلية - من صور إلى يافا - التي عهد بحكمها للفرنجة. وفي عام 1250 - 1251 م اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحسين حيفا وقيسارية حتى إذا كان عام 1265 م تعرضت لهجوم الظاهر بيبرس.

(49) موقع ارسوف ومينائها على شاطئ البحر جعلها محط انظار الغزاة الصليبيين الذين سعوا منذ بداية حملاتهم الصليبية إلى احتلالها. في عام 1099، وبينما كانت المدينة تحت سيطرة الفاطميين ، استطاع جودفري، أول حاكم صليبي لفلسطين، أن ينتزع منها الجزية ، تم احتلالها في شهر نيسان من عام 1101 على يد بلدوين الأول ملك القدس. استرد صلاح الدين الأيوبي ارسوف بعد معركة حطين 1187 م ليعاود الصليبيين احتلالها عام 1191 م بقيت أرسوف بأيدي الفرنجة إلى أن فتحها الظاهر بيبرس عام 1265 بعد فتح ارسوف قام الظاهر بيبرس بتخريب القلعة وهدم اسوارها خشية ان يعاود الفرنجة احتلالها من البحر وان يتحصنوا بها

قلاعها باحضار الاساري لإخربها فكانوا كما قال **الله** تعالى : " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين " .

حضر العباد والزهاد والفقراء والفقهاء إلى هذه الغزاة المباركة التي ملأت الارض بالعساكر واصناف العالم ولم يتبعها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ويجرون في المجانيق .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 239]

فأستمر العمل ، **والسلطان** بنفسه ملازم العمل بيده في الحفر وفي جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الأحجار ، أسوة لغيره من الناس ، وكان يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده ، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشر إليه بإصبعه .

وأباح **السلطان** القلعة للناس ، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير ، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه ، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال .

[المقرئزي - السلوك]

ثم اكرههم على العمل في تخريب حصنهم بأيديهم ثم اخذهم غنائم حرب ليزين بهم موكبه وهو راجع القاهرة ، صلبانهم مكسورة واعلامهم منكسة .

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك 52]

ثم كتب إلى قسطلان يافا ان يكتب إلى صاحبه : " انا اذا اسر لنا فلاحا اسرنا الفا من المقاتله لابسة السلاح واذا هدموا جدارا هدمنا اسوارا " .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 243]

بعد ضياع حيفا وارصوف ومن قبلهما قيسارية اصيب الصليبيون بالرعب والهلع فبدأوا بالاستعداد للهروب قبل فوات الاوان .

8. **طرابلس**⁽⁵⁰⁾ :

(50) «طرابلس الشام» صلة الوصل ما بين الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والداخل السوري والعربي يعود تاريخ طرابلس إلى ثلاثة 3500 عام ،

ثم اغار **الظاهر** على طرابلس وضواحيها فأرسل اليه صاحبها يقول : ما مرادك من هذه الارض ؟ فرد قائلا : "**جئت لأرعى زروعكم واضرب بلادكم ثم اعود إلى حصاركم في العام التالي** " .

[ابن كثير - البداية و النهاية 259/13]

الواقع ان **الظاهر** كان ينوي استعادة طرابلس ولم يصدده عنها سوى وصول حملة صليبية انجليزية بقيادة الامير **ادوارد** ولي عهد انجلترا فأظهر الاتزان والتعقل تجاه سياسة **بوهموند** وعقدت الهدنة بين الطرفين بعد توسط **شارل كونت** على ان يحتفظ **بيبرس** بما فتحه من بلاد حديثة وان تستمر الهدنة مدة عشرة اعوام .

[سهيل طقوش- تاريخ الممالك 128]

9. قلعة الحصن (51) :

حيث أسسها الكنعانيون ، وتعاقبت عليها الأمم والعهود من الكنعانيين ، موروًا بالرومان ، والبيزنطيين ، والعرب ، والفرنجة . طرابلس هي تعريب لكلمة Tripolis اليونانية والتي تعني المدن الثلاث. لثلاث من مدن فينيقيا القديمة : صور وصيدا وارواد . وفي العام 1289 ، فُتحت طرابلس على يد المنصور قلاوون سلطان مصر والشام الذي أعطى أوامره بهدم المدينة القديمة ، وبنائها من جديد في السهل المنبسط تحت قلعة طرابلس. واتخذها سلاطين الممالك طوال قرنين وربع القرن من الزمان عاصمة لنيابة السلطنة .

(51) حصن الأكراد حصن منيع حصين على الجبل الذي يُقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل المتصل بجبل لُبْنان وهو بين بعلَبَك وحمص مع وصول الحملات الصليبية عام 1099م استولى عليها ريموند صنجيل ثم استرجعها أمير حمص عام 1102 ، قام الصليبيون بترميم أجزائها وإعادة بناء حصونها ، ولقد حاول نور الدين زنكي تحرير القلعة مرتين 1163-1167م ،

شهر كامل هي مدة حصار القلعة بثلاثمائة فارس فقط بجانب فصائل من الحشاشين و جيش المنصور صاحب حماة يقوده المنصور بنفسه . وبعد ايام امطر السلطان اسوار القلعة بوابل كثيف من القصف المركز ، نجح من خلاله في احداث ثغرة في الاسوار دخل منها المسلمون القلعة . راحوا يقتلون من هناك ويأسرون من بقي من الجنود . كانت تحت حمايه الاستتارية⁽⁵²⁾ ، وضرب عليهم حصارا مركزا فدخلها بعد ثلاثة اسابيع من الحصار وسمح لافراد الحامية للجوء إلى طرابلس .

[سهيل طقوش - تاريخ المماليك 127]

توالت هزائم العدو وتهافت معاقلهم معقلا وراء معقل واوشكت ان تظهر الشام من فلول الصليبيين .

بيبرس وارمينيا الصغرى :

بعدها استولى السلاجقة على مواطن الارمن في بلادهم الاصلية ارمينيا عند منابع نهر الفرات في القرن الحادي عشر- ميلادي هاجروا إلى بيزنطة فرحبت بهم ومنحتهم ضياعا واسعة في كبادوكيا ، مما ادى إلى ازدياد هجرتهم إلى موطنهم الجديد ثم راحوا يسكنون مضيق كيليكيا بين طرسوس وبلاد الروم وتركزوا في الجهات المحيطة بملاطية والرها وانطاكية .

[عاشور - الحركة الصليبية 97/1]

ثم حصنوا معاقلهم بالابراج . أصبح الأرمن قوة كبيرة حتى اطلق على اقليم كيليكيا اسم ارمينيا الجديدة او مملكة ارمينيا الصغرى واتخذوا

كما حاصرها صلاح الدين الأيوبي عام 1188م أثناء مرور جيشه لاستعادة الساحل السوري .

(52) طائفة من الفرسان الطبية التي نشأت منذ فجر الحروب الصليبية كجمعية هدفها العناية بالمرضى وايواء الحجاج ورعايتهم ولكن سريعا ما اكتسبت الصفة الحربية وارتدي اصحابها زي الرهبان واخذوا يقاتلون من على ظهور الجبال

سيس عاصمة لهم ، ثم ان **هيثوم** ملك البلاد ارسل إلى قائد المغول في اسيا الصغرى كتابا وتلقى على أثره منشور التبعية للخان الاكبر عام 1244 م وتوطدت العلاقات بيت الطرفين .

وتاكيدا لمبدأ التحالف بين الطرفين شارك **هيثوم** في الهجوم التتري على عاصمة الخلافة ثم شارك **هولاكو** في وضع خطة غزو الشام .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 132]

انطاكية :

امر **بيبرس بوهمند** حاكم انطاكية وهو يومئذ خارجها بتدبير ترتيب استسلام الحامية المدافعة عنها .

لما حاول اقناع من داخل المدينة بالاستسلام رفضوا الانصياع لرأيه ، وفي حركة طائشة تهور **الكونستابل** وقاد بعض جنوده خارجا من المدينة محاولا التفاوض مع **بيبرس** غير ان جنود بيبرس **اسروه** .

قامت الآلات وراجمات الأحجار المملوكية في احداث فجوة داخل الأسوار فدخلها المسلمون ثم امر السلطان باغلاق ابواب المدينة لكي لا يمكن احد من الهروب ثم امر جنوده بقتل من يقابلونه من الجنود ، فوقعت مذبحة عظيمة وانتهى امر المدينة بين قتيل واسير .

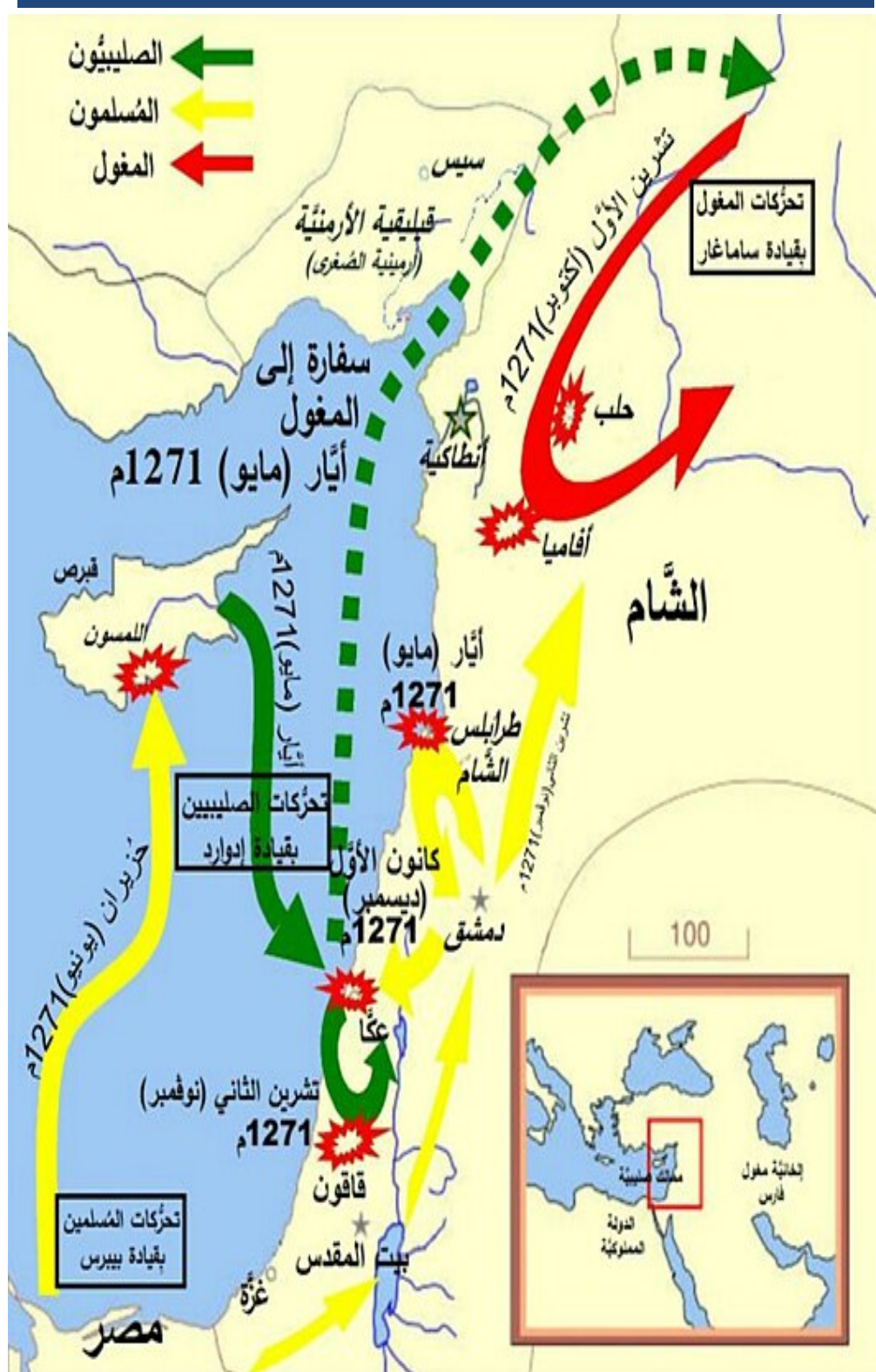
اما **المعقل فأشتعلت فيه النار وفيه امتد اللهب إلى جميع انحاء المدينة فتركها اثرا بعد عين** .

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك 56]

غنم ما لا يحصى كثرة وطرحت الغنائم بهرج **انطاكية** فملأته طولاً وعرضاً ، حتى بيع رأس البقر بدرهمين ولم يوجد من يشتريه .

[المقريزي - السلوك 552/1]

قال السلطان **والله** ما خبأت شيئاً مما حمل إلي ولقد بلغني ان غلاماً لأحد مماليكي خبأ شيئاً لا قيمة له فأدبته الأدب البالغ ، فأحضر الناس الاموال والمصاغ والذهب والفضة وقسمت في الناس .



كانت انطاكية اغنى المدن الصليبية وكانت ذات كنوز هائلة وجد المنتصرون فيها اكواما من الذهب والفضة وعملات وفيرة . وزع الاسرى بحيث لم يكن هناك جندي في جيش السلطان الا وكان له عبدا وما بقي بيع حتى وصل سعر الصبي اثني عشر درهما والبنت خمسة دراهم . كان يستولى على معاقلمهم معقلا فمعقلا رغم ما كان يصل اليهم من المدد من اوروبا . ثم يكتب اليهم : " ان رايتنا الصفراء قد هزمت رايتكم الحمراء وان الله اكبر قد اسكتت نواقيس كنائسكم " .

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك 56]

كان سقوط انطاكية اعظم الفتوح التي حققها المسلمون على حساب الفرنج منذ ان استرد صلاح الدين بيت المقدس 1187 م . وهكذا اكد بيبرس جدارته وجدارة دولته بالدور التاريخي الذي تعلق بهما ، فلقد كان أسترداد انطاكية المسمار الذي دقه المسلمون في نعش الوجود الصليبي على الارض العربية وكذلك كان بمثابة اعلان جديد لحركة الجهاد الكبرى .

[قاسم عبده قاسم- عصر سلاطين المماليك]

ثم ارسل إلى بوهمند رسالة تهكم وشاطره فيها الحزن والاسى على حاضرة ملكه المضيع .

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك 56]

من رسالة السلطان لبهموند بعد انطاكيا:

اخرناك وما كان تأخيرك الا لأجل محدود لو تعلم كيف فارقنا بلادك وما بقيت ماشية الا وهي من ايدي المعاول سارية ولا زروع الا وهو محصود ولا موجود الا وهو منك مفقود وكيف لم يسبقنا إلى مدينتك انطاكيا خبر وكيف وصلنا اليها وانت لا تصدق اننا نبعد عنك وان بعدنا فسنعود على الاثر وهنا نعلمك بما تم ونفهمك بالبلاء الذي عم .

كان رحيلنا عنك وعن طرابلس رابع عشر شعبان ونزلنا انطاكيا في مستهل رمضان ، خرجت عساكر- للمبادرة فكسروا وتناصروا فما نصرنا وجاءهم الموت من كل مكان وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان وقتلنا من اخترته لحفظها والمحاماة عنها وما كان احد منهم الا وعنده شيء من الدنيا فما بقي منا الا عنده شيء منهم ومنها . فلو رأيت خيالك وهم صرعى تحت ارجل الخيول وديارك والنهاية فيها تصول والكسابة فيها تجول واموالك وهي توزن بالقنطار ولو رأيت كنائسك وصلبانك قد كسرت ونشرت وصحفها من الاناجيل المزورة قد نشرت وقبور البطارقة قد بعثرت ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس والمذبح وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخترق والقتلى بنار الدنيا قبل نار الاخرة تحترق وقصورك واحوالك قد حالت وكنيسة بولس وكنيسة القسيان قد زلت وزالت لكنت تقول يا ليتني كنت ترابا ويا ليتني لم اوقى بهذا الخبر كتابا ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ولتيقنت ان **الاله** الذي اعطاك انطاكيا منك استرجعها **والرب** الذي اعطاك قلعتها منك قلعةا ومن الارض اقتلعها وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك **الله** من السلامة بكونك لم يكن لك في انطاكيا اقامه وكونك ما كنت فيها فتكون اما قتيلا واما اسيرا .

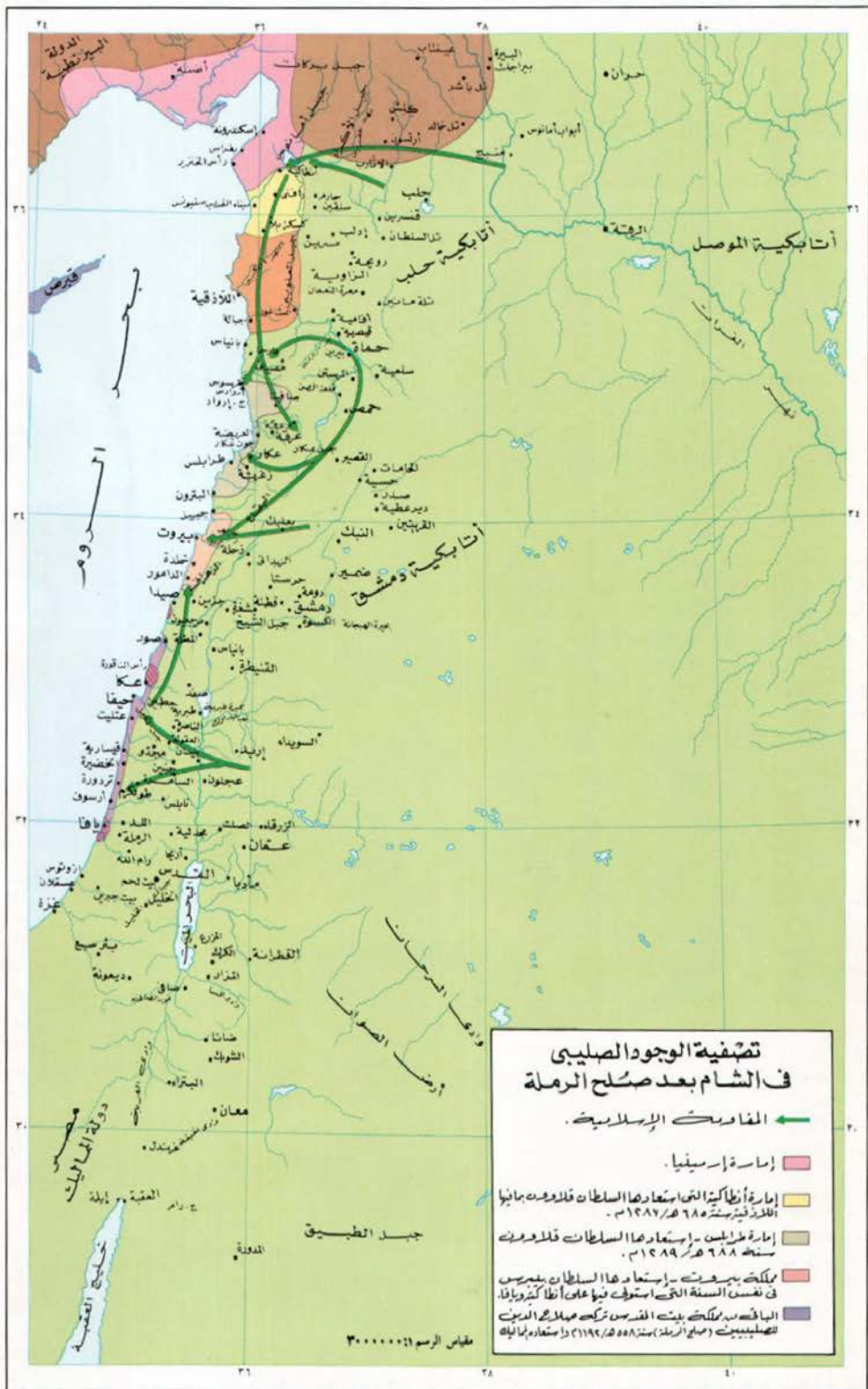
كانت البحرية المصرية تعتمد في بناء سفنها على اخشاب جنوب الاناضول ولبنان وكان **هيثوم** وزوج ابنته **بوهمند** يسيطران على تلك الغابات فكان يأملان في استغلال تلك الغابات كورقة التفاوض .

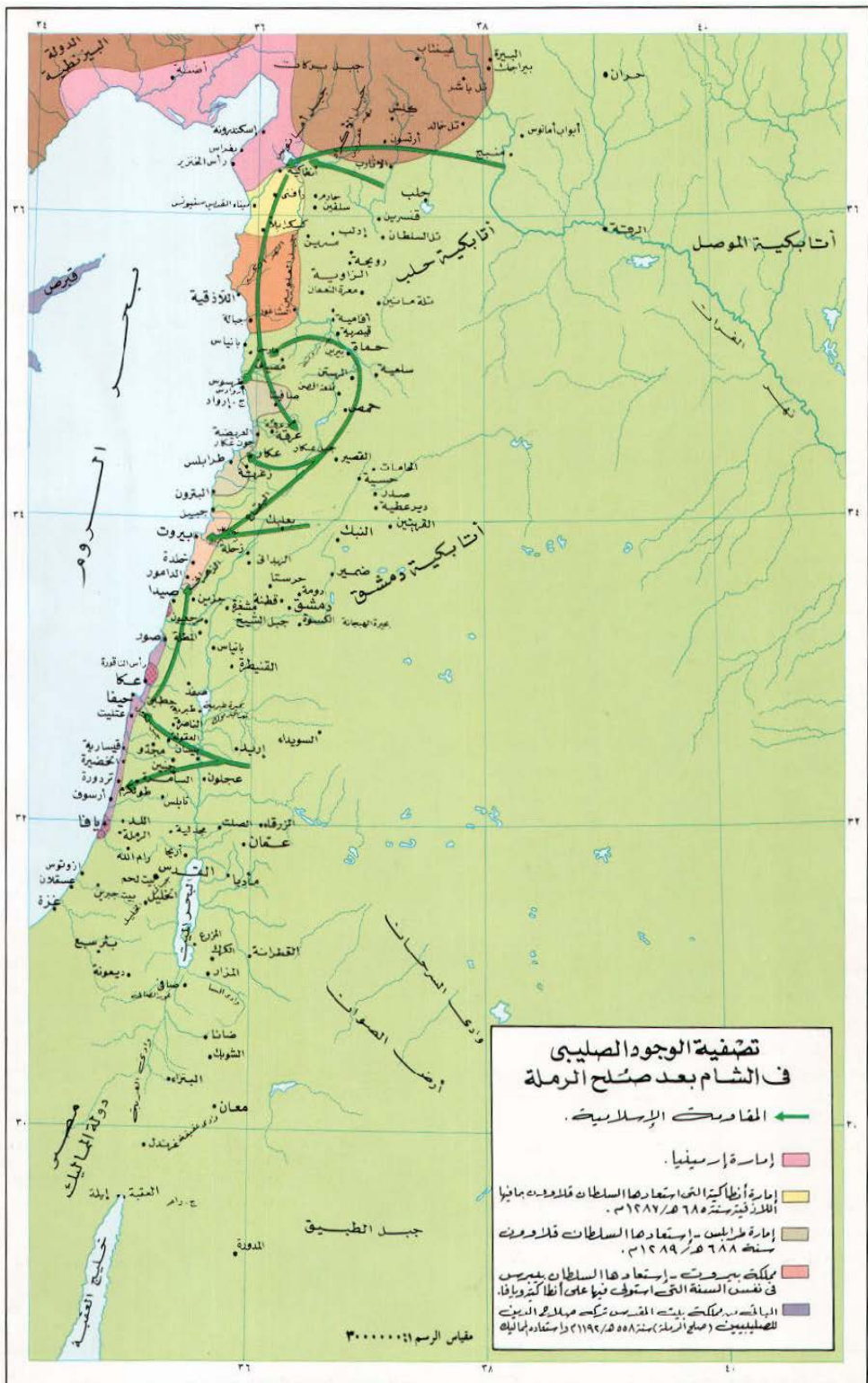
عام 1260 علم **هيثوم** ان هناك هجوما مملوكيا وشيكا فذهب إلى بلاط الخان في تبريز يستجدي مساعدة المغول .

اندلع القتال في كيليكيا وكان يقود الجيش الارميني ابنا **هيثوم** فلما نشبت المعارك هلك الجيش الارميني باكملة اما اسيرا او قتिला ، اما ابنا هيثوم فقد قتل احدهما واسر الاخر .

دخل المسلمون حلب يجرون اربعون الف اسير وقوافل ضخمة من الأسلاب ، لما عاد **هيثوم** من بلاط الخان وجد وريثه اسيرا وعاصمته اطلالا وبلده خرابا .

تفاوض **هيثوم** مع السلطان لاسترجاع ابنه الاسير ومن خلال تلك المفاوضات تخلى **هيثوم** لصالح السلطان عن عدة مراكز هامة منها دريساك ومرزبان ورعبان وكلها طرق تتحكم في المواصلات بين ارمنيا وبلاد الشام والعراق .





الفصل الثالث عشر :

بيبرلس وبلاد النوبة



بيبرس وبلاد النوبة :

النوبة مملكة مسيحية عاصمتها مدينة **دنقلة** التي تقع في اعالي النيل كانت تمتد حتى **اسوان** شمالا وبلاد الحبشة جنوبا وتدين هذه المملكة لحكومة وطنية مسيحية.

[سهيل طقوش - تاريخ الممالك 113]

منذ الفتح الإسلامي تدين بالطاعة لسلطان مصر وتؤدي له الجزية طبقا لمعاهدة **البقط**⁽⁵³⁾ غير ان هذه التبعية كانت اسمية في غالب الاحيان . لما اضحى الوجود الصليبي مسرحا للاحداث على سواحل الشام وطريق الحج باتجاه السويس والعقبة ومن ثم سيناء بات محفوفًا بالمخاطر . اتخذ المسلمون طريقا جديدا للحج وللتجارة تتجه جنوبا عن طريق النيل إلى قوص ومنها إلى عيذاب وجدة على البحر الاحمر فأشتدت اعتداءات النوبيين على المناطق الحدودية وانتهز الملك داوود ملك النوبة انهماك **بيبرس** بحروبه ضد **الصليبيين والمغول والارمن** فهاجم جنوب مصر سنة 671 هـ - 1272 م ونهب اسوان واسر جماعة من سكانها كما هاجم ميناء عيذاب لتهديد التجارة المملوكية وقطع طريق الحج .

ارسل **بيبرس** حملة بقيادة **اق سنقر الفارقاني** للتصدي لهم وحماية الحدود ثم ان الملك **شكندا** الملك المعزول قد استنجد بالسلطان ضد ابن اخيه **الملك داوود** فأكتملت القوة العسكرية بحملة عسكرية ضخمة تحت قيادة الامير المملوكي **عز الدين الافرم** وصحبها الملك **شكندا** .

[سهيل طقوش - تاريخ الممالك 115]

(53) هي معاهدة بين مملكة المقررة والدولة الإسلامية في خلافة عثمان بن عفان بعد فتح جيش المسلمين لمصر، استمرت نحو سبعمائة سنة، لذا تعتبر من أطول المعاهدات في التاريخ

اهتم **الظاهر** بهذه المملكة المسيحية القابعة على حدوده الجنوبية والتي اخذت تسبب له من المشاكل ما شغله عن الاهتمام بالقضايا الاكثر حساسية .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 32]

تمكنت الحملة من اختراق مناطق الشلالات وهاجمت القلاع والقرى واضطر **داوود** إلى الفرار ولكنه اسر .

نصب المماليك **شكندة** في الحكم بدلا منه وتعهد بالآتي : يستولى على أموال الملك السابق ويرسلها إلى مصر ، وبسط سلطان المماليك على الجزء الشمالي لبلاد النوبة ، خير ملك النوبة وشعبه بين الإسلام او الجزية او الحرب فأختار الجزية وأنشأ **السلطان** ديوان خاصا **بالنوبة** يشرف عليه **الصاحب بهاء الدين ابن حنا**.

فلما رفضوا اعتناق الإسلام اضطروا إلى دفع الجزية التي تفرض على اهل الذمة وان يقدموا عددا من الفيلة والزراف ونصف محصول الاراضي الزراعية.

[وليم موير- تاريخ دولة المماليك 58]

قرر عليه كل سنة ثلاثة فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود اناث .
خربت **كنيسة سرس** التي يزعم انها تحدثه ما يؤديه وكان **داوود** قد بناها على اكتاف المسلمين الذين اسرهم في عيذاب ، يطلق جميع ما لدى النوبيين من الاسرى المسلمين .

ثم تم تحليف شكندا : **والله والله والله** وحق **الثالوث المقدس** وقسم **الانجيل الطاهر والسيدة الطاهرة العذراء** انني اخلصت نيتي وطويتي من وقتي هذا وساعتي هذه **للسلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس** وان ابذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته .

ليثأر منهم لغزواتهم التي كانت على الصعيد فكللت اعماله بالنجاح العظيم واصبحت هذه البلاد منذ ذلك العهد خاضعة تماما لحكم المماليك

بعدها لقوا هزيمة منكرة في ملحمة دارت رحاها في دنقلة ، وأصبحت بلاد النوبة لأول مرة فعليا تحت حكم الإسلام .



الفصل الرابع عشر :

بيبرس والمغول



بيبرس والمغول :

في حصار البيرة شرع السلطان في السفر ، ومعه عساكر كثيرة ، فوقع فناء في الدواب هلك منها عدد كثير ، وصارت الأموال مطروحة ، والسلطان لا يقصر في المسير . فلما شكي إليه قلة الظهر قال : ما أنا في قيد الجمال ، أنا في قيد نصرة الإسلام .

ونزل **السلطان** غزة ، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا ، فكتم ذلك ولم يعلم به سوي الأمير **شمس الدين سنقر الرومي** والأمير **سيف الدين قلاوون** فقط .

وكتب **السلطان** للأمير **إيغان** : " متى لم تدركوا قلعة البيرة وإلا سقت إليها بنفسي جريدة ، فساق الأمير **إيغان** العسكر ، ورحل السلطان من غزة ، ونزل قريبا من **صيداء** ، فركب للصيد فتقنطر عن فرسه وتهشم وجهة ، فتجلد ورحل .

ونزل **السلطان** فورد البريد من دمشق وهو في الحمام بالدهليز ، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان : فإذا هو يتضمن بأن بطاقة **الملك المنصور** صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر ، صحبة **الأمير عز الدين إيغان** وجماعة الأمراء ، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا ، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم .

[المقريزي - السلوك 17/2]

كتب **السلطان** برحيل اهل الشام بأهلهم إلى مصر فحضر من تلك البلاد خلق كثير بعدما كتب السلطان ألا يؤخذ منهم زكاة .

صار التتار إلى الموصل ونصبوا عليها **خمسة وعشرون منجنيقا** وقع التخريب في سور المدينة ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس ونهبت المدينة وقتلوا الرجال واسروا النساء وهدموا المباني وتركوها .

[المقريزي - السلوك 548/1]

رسالة اباقا بن هولاكو للسلطان ركن الدين بيبرس :

عندما شرع **اباقا بن هولاكو** في التحرك إلى الشرق والحق الهزيمة بكل العالم لقي كل من وقف امامه حتفه ، اذا ما كنت في السماء او في الارض فلن ينقذك مني احد وافضل سياسة يمكن ان تلجأ اليها هي ان تبحث عن السلام معي فأنت لا تعدو الا ان تكون مملوكا تم بيعه في سوق سيواس للعبيد فكيف لك ان تتمرد على ملوك الارض .

[نور الدين خليل - الممالك المفترى عليهم 196]

رد **السلطان** على تهديد **اباقا بن هولاكو** : أعلم اني وراءه بالمطالبة ولا ازال انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر اقطار الارض .

وفي عام 1272 م هاجم جيش مغولي سلجوكي مشترك قوامه ثلاثين الف مقاتل البيرة بهدف الاستيلاء عليها ونصبوا عليها **ثلاثة وعشرون** منجنيقا . لما علم **السلطان** بذلك خرج على **حمص** وصادر مراكب الصيادين وحملها على الابل ليعبر الفرات عليها ثم جد في السير حتى بلغ النهر فوجد الجيش المغولي مرابطا على الشاطئ فأنزل المراكب وشحنها بالمقاتلة . كان هذا الحصار في فصل الشتاء ، فأستعصت البيرة عليهم بسبب هبوط الثلج وتراكمه واشتداد البرد ففكوا الحصار وعادوا إلى بلاد الروم بعد ان دمروا معداتهم واحرقوها حتى لا تقع في ايدي المماليك .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 138]

ولكن مؤخرة الجيش اصطدمت بالقوات المملوكية التي عبرت النهر فأسر الجيش المملوكي مائتي جندي ولم ينج منهم الا القليل .

[ابن تغري بردي - النجوم 159/7]

دخل **بيبرس** البيرة وخلع على نائبيها ووزع النقود على اهلها تعويضا لهم عما لاقوه من شدة ايام الحصار .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر 408]

في وسط دوامة الصراع بين **المغول والمماليك** تاهت مساعي امراء سلاجقة الروم بين استمداد العون من المغول وبين الاستنجاد بالمماليك ليحرروهم من سيطرة المغول على بلادهم .

اما في مصر فما زال سلطانها يراوده حلم ضم املاك السلاجقة إلى بلاده . مال الحاكم الفعلي للسلاجقة **برواناه** تجاه **بيبرس** وكثيرا ما رغبه في القدوم إلى بلاده لتخليصهم من الاستبداد المغولي .

جاء عام 675 هـ - 1277م ومشروع السلطان ضم بلاد الروم . فخرج في شهر رمضان متوجها إلى دمشق وفي صحبته امراء سلاجقة التجأوا اليه ثم انتقل منها إلى حلب ومنها إلى جيلان ثم عنتاب فمرج الديباج ثم عبر النهر الازرق كل ذلك والسلطان كلما حط رحاله في بلد من ملكه استنفر قواها لكي يكونوا في احسن استعداد لئلا تتعرض لأي غزو مغولي اثناء غيابه في الاناضول .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 142]

عند النهر الازرق كانت بداية مناوشات عندما التقت طليعة الجيش بقيادة **الامير سنقر** بطليعة مغولية قوامها ثلاثة الاف مقاتل فهزمها واسر كثيرا من افرادها .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 453]

فلما وصلت انباء توغل القوات المملوكية في بلاد الروم إلى مسامع **اباقا بن هولاکو** تحرك للتصدي للمماليك .

وجه **اباقا** فرقة من جيشه باتجاه الشام استغللا لغياب **الظاهر** ولكن الهزيمة المنكرة من القوات المملوكية المرابطة على معابر الفرات قد نالته ، ومن جهة اخرى تحركت القوات المغولية الرئيسية بقيادة قائدي المغول **تدان وتوغو اغا** بصحبة قوات **سلجوقية** بقيادة **برواناه** نفسه على طريق **البستان** حتى نزل الجيش تحت الجبل على نهر **جيحان** وفي اليوم التالي وصل **بيبرس** بعساكره إلى الجبل فرآهم متأهبين في السهل .

وفي يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة سنة 675 هـ 1277 م في يوم بارد جدا دارت مناوشات بين الجيشين بإستخدام السهام ثم حصل الالتحام وتلاقى العسكران .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 143]

عملت ميسرة المغول على قلب الجيش المملوكي حتى وصلت إلى الصناجق واخترقت القلب فشقتة ثم انقلبت على الميمنة فلما رآها **بيبرس** اردفها بنفسه ثم لاحت منه التفاته فرأى الميسرة قد اناخت تحت ضغط ميمنة المغول وكادت ان تفنى فأردفها بجماعة من الفرسان وحملت ميمنة المماليك في احدى مراحل المعركة على قوة مغولية وابادتها وترجل المغول عن خيولهم من شدة وطأة القتال وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى كثر القتل فيهم.

رجحت كفة فرسان المماليك في النهاية وتضعضت قوات المغول وبدأ افرادها يفرون لا يلوون على شيء فقتل من المغول ستة الاف وسبعمائة وسبعون قتيلا منهم قائدي المغول **تودان وتوغو** .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 144]

ثم ارسل **بيبرس الامير سنقر** لمطاردة فلول الهاربين ثم توجه إلى قيصرية ومعه كتاب بالامان إلى سكانها فأمر بإخراج الاسواق والتعامل بالدرهم الظاهرية .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 462]

دخلت بعض مدن الروم في طاعة الظاهر مثل **لاراندا ودوالو** واستقبله السكان بالترحاب .

ضرب خيامه في صحراء **مشهر** بالقرب من **دوالو** واقبل عليه **السلجقة** من مختلف طبقاتهم يهنئونه بالنصر وحضر اصحاب الملاهي كما هي عادة السلجقة فنهاهم عن الضرب بالألات لان الموقف هو موقف شكر لا غناء .

بعدها رتب الأمور في البلاد المفتوحة وجلس على عرش السلجقة وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه .

[ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 463]

بعد عشرة ايام في قيسارية علم **الظاهر** بمراسلة **بروانه لاباقا بن هولكو** وحثه على ارسال نجدة فخرج **السلطان** من المدينة لأن عساكره قد انهكها التعب ونفذت الاقوات ونقص العلف ونفق معظم خيله .
لما نزل إلى **قيرلو** جاءه رسول من **بروانه** فرد عليه **الظاهر** قائلاً ان **السلاجقة** شرطوا شروطاً لم يفوا بها وانه عرف الروم وطرفه وما كان جلوسه على التخت رغبة فيه الا ليعلم حكام السلاجقة انه لا عائق له عن شيء يريد به وان المسافة التي تفصل بلاده عن الروم وهي مسيرة سبعة ايام تعتبر بنظره خطوة يقطعها في اي وقت شاء ثم رحل عائداً إلى دمشق خرج **اباقا بن هولكو** غاضباً من الكارثة التي حلت بقواته متوجهاً إلى بلاد الروم فلما وصل البستان عاين مكان المعركة وارسل إلى **بيبرس** يدعوه للعودة ثم عاد إلى قيصرية فنهبها وانتقم من سكانها.

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 145]

بيبرس وبركة خان⁽⁵⁴⁾ زعيم القبيلة الذهبية :

قسم **جنكيز خان** امبراطوريته قبل وفاته بين اربعة من اولاده هم **جوجي** و**جغتاي** و**اوكتاي** و**تولوي** .

(54) بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان، وهو أحد سبعة أبناء لجوجي ، ورث منصب أبيه وأصبح زعيماً للقبيلة الذهبية، والتي تعد أولى قبائل التتار إسلاماً وأكثرها تعاطفاً وتأدباً مع المسلمين.. دخل بركة خان الإسلام سنة 650 هجرية وكان من قبل محباً ومتأثراً بالإسلام بسبب امرأة أبيه وقد التقى مع أحد علماء المسلمين واسمه نجم الدين مختار الزاهدي وأخذ في الاستفسار عن الإسلام من هذا العالم المسلم وهو يجيبه بكل وضوح وسلاسة .

كان نصيب **جوجي** وهو اكبرهم البلاد الواقعة بين نهر ارتش وبحر قزوين وتعرف بالقبجاق وغالب سكانها الاتراك والترکمان كما اطلق على قبيلتهم القبيلة الذهبية نسبة إلى خيام معسكراتها ذات اللون الذهبي .
لما كان **جوجي** قد توفي في حياة ابيه فقد عهد **جنكيز خان** إلى حفيده **باطو بن جوجي** ادارة هذه المنطقة .

سريعا ما اسلم **بركة خان ابن جوجي** ومن ثم انتشر الدين الإسلامي في الاقليم ، مما ادى إلى ازدياد التقارب بين مغول القفجاق والمماليك من جهة وازدياد العداء بينهم وبين طوائف مغول فارس من جهة اخرى .
كل ذلك ادى إلى الهاء **هولاكو** بقتال **بركة خان** على حدود القوقاز وصرفه عن الثأر لهزيمة عين جالوت .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك NNO]

كتب **بركة إلى الظاهر بيبرس** : " واني قد كنت انا واخوتي الاربعة لحربه من سائر الجهاد لاقامة منارة الإسلام واعادة موطن الهدى إلى ما كانت عليه من العمارة وذكر الله والامان والقراءة والصلاة واخذ ثأر الأمة والأمة " ، ثم التمس من **السلطان** انقاذ جماعة من العسكر إلى جهة الفرات لامسك الطريق على **هولاكو** ، كتب اليه **السلطان** الرد في سبعين ورقة بغدادية فيها الآيات والاحاديث في الترغيب في الجهاد وما ورد في مصر من الاحاديث وفي قتال المشركين والاقْتداء **بالنبي صلى الله عليه وسلم** في الجهاد ووصف كثرة جنود الديار المصرية وما هي عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة في نصره الإسلام ، ارسل الهدايا ومعها ختمة شريفة بغلاف اطلس احمر مزركش وكربي له عاج وابانوس وقفل فضة وغيره من الهدايا واشياء مستظرفة مستغربة ولطائف لا يوجد مثلها في خزانة ملك كبير كل هذا لمصلحة الإسلام .

[ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر NTP]

استقبل رسل **بيبرس** في البلاط المغولي بالحفاوة . ولما عادوا ذكروا مدى اتساع انتشار الإسلام بين مغول القفجاق بحيث ان لكل امير واميرة في البلاط اماما ومؤذنا خاصا وان الاطفال يحفظون القرآن في المدارس .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك NNO]

الفصل الخامس عشر :

بيبرس وعمارة المدائن



بيبرس وعمارة المدائن :

بنى في ايامه بالديار المصرية ما لم يبنى في ايام الخلفاء ولا ملوك بني ايوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات.

[ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة]

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يبن في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب، مع اشتغاله بالجهاد في سبيل الله .

[ابن كثير- البداية والنهاية 536]

فرم ما فسد منها وبنى مشهدا في عين جالوت عرف بمشهد النصر .
بعث السلطان الاتابك **فارس الدين اقطاعي والصاحب ابن حنا** لكشف مكان يعمله جامع بالحسنية فصاروا واتفقوا على مناخي الجمال السلطانية فلما عادا قال السلطان لا **والله** لا جعلت الجامع مكان الجمال واولى ما جعلت ميداني الذي لعب فيه الكرة وهو نزهتي جامعا فرتب بناء الجامع على ان يكون بقية الميدان وقفا عليه ثم عاد إلى المدرسة التي أنشأها بين القصرين وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء فقال هذا مكان جعلته **الله** تعالى لا تدفنوني هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان .

[المقرئزي - السلوك 42/2]

رتب **السلطان** البريد في سائر الطرقات صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى **دمشق** في اربعة ايام ويعود في مثلها فصارت اخبار الممالك ترد اليه في كل جمعه مرتين ويتحكم في سائر المملكة وهو مقيم في **قلعة الجبل** وانفق في هذا مالا عظيما .

وعمر شيئا كثيرا من الحصون والمعقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب ب**قلعة الجبل** وبنى قبة على اثني عشر عمودا ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصكيته وأشكالهم ، وحفر أنهارا كثيرة وخلجانا ببلاد مصر ، منها نهر **السرديوس** ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد **رسول الله صلى الله عليه وسلم** حين احترق ، ووضع الدرازينات حول **الحجرة الشريفة** ، وعمل فيه منبرا وسقفه

بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلي أريحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنة ، من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة ، وغيرها وبنى بالقدس خانا هائلا ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحونا وفرنا وبستانا ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم ، رحمه الله تعالى . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عمّتا مشهدا ، ووقف عليه أشياء للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفد وجامعها ، وجدد جامع الرملة ، وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بحلب دارا هائلة ، وبدمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله .

[ابن كثير - البداية والنهاية 534]

وله عدة أوقاف بمصر :

منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم ، وهو من أكثر الأوقاف نفعا ، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة ، والمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين من القاهرة ، والجامع الظاهري خارج باب الفتوح من القاهرة . وعمر السلطان الجسر الذي يسلك عليه إلى دمياط ، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة ، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل .

جدد بناء الحرم النبوي ، جدد بناء قبه الصخره ، بنى المدرسه الظاهريه بين القصرين ، اعاد بناء حصن الجزيرة ، بنى جامع في الحسينيه ، شيد قناطر السباع ، بنى مشهد النصر في عين جالوت ، جدد اسوار الاسكندرية ، بنى مرقبا في ثغر رشيد، اعاد بناء القلاع التي هدمها المغول في الشام .

بقايا مدرسه الظاهر بيبرس البندقدارى:

تقع هذه المدرسة فى شارع المعز بمنطقة النحاسين وهى ملاصقة لضريح الصالح نجم الدين أيوب، ويذكر لنا المقرئى أن هذه المدرسة كانت تشغل مكان قاعة الخيام وقاعة السلاح الملحقه بالقصر الفاطمى الشرقى ، وقام ببناء هذه المدرسة على هذا المكان .

يرجع تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى سنة (660-662هـ/1262-1263م) ، وأوقف عليها خزانه كتب جليلة تشمل على أمهات الكتب الدينية وسائر العلوم ، كما أوقف عليها ربع للسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى كان خارج باب زويله .

وحينما شرعت مصلحة التنظيم فى شق طريق مواصل من أمام بيت القاضى حتى سوق النحاسين أمام قبة المنصورة قلاوون فهدمت جزء كبير من هذه المدرسة وزادت النكبات عليها ولم يعد باقيا منها سوى بقايا من الإيوان الجنوبي الغربى لها عبارة عن مساحة مستطيلة مساحتها (5×11) . وتبقى أيضا من المدرسة جزء من العضاده اليمنى من كتله المدخل لا يزال عليها جزء من النص الإنشائى للمدرسة ، ومن الأجزاء المتبقية أيضا حجرة مستطيلة على يمين المدخل مساحتها مستطيلة تقريبا (3.5×3 متر) لها شباكان أحدهما يطل على الجهة الشمالية الغربية فتح بدل منه باب خشبى ، والآخر يطل على الجهة الجنوبية الغربية ومغشى بحجاب من مصبغات معدنية .

أما عن العمارة الخارجية للأثر المتبقية فهى واجهة جنوبية غربية تشغلها داخلتان مستطيلتان وتستمر الواجهة الجنوبية الغربية لمسافة (11.30) متر حتى تلتقى بواجهة ضريح الصالح نجم الدين أيوب الشمالية الغربية .

على أن التخطيط العام لهذه المدرسة كان على الطراز المتعاقد يتكون من صحن مكشوف وأربع أيونات أكبرها الإيوان الجنوبي الغربى والإيوان

الشمالي الشرقى وكان على هيئه سدلتين ،وقد الحق المعمار بهذه المدرسة بالجهة الشمالية الغربية سبيل ذو شباكين يعد هذا السبيل من اقدم ألامثله الموجودة فى مصر من هذا النوع ،وكان يعلوه كتاب لتعليم أيتام فقراء المسلمين.

الواجهة الجنوبية الغربية :

لم يتبقى من الواجهات الخارجية للأثر سوى الواجهة الجنوبية الغربية ويشغلها داخلتان مستطيلان ، يشغل المستوى السفلى للدخلة الأولى منها فتحة شباك مستطيلة مغطاة بحجاب من مصبغات معدنية ،أما الدخلة الثانية فكان من الراجح انه يشغلها فى المستوى السفلى فتحة شباك مستطيلة أيضا ولكنها سدت الآن بالأحجار،ويعلو كل من الشباكين عتب حجرى مزخرف بالنقوش الهندسية على هيئه أشكال مثمene ، يحدد هذا العتب افريز ضيق عليه زخرفة نباتية دقيقة ،يعلو العتب عقد عاتق عليه زخرفة نباتية ،يحصران بينهما نفيس عليه نقش لفهدين متقابلين وتستمر هذه الواجهة لمسافة (11.30) متر حتى تلتقى بواجهة ضريح الصالح نجم الدين الشمالية الغربية .

بقايا المدخل الرئيسى :

لم يبقى من المدخل الرئيسى للمدرسة الذى كان يوجد بالجهة الشمالية الغربية مطلا على شارع المعز تجاه مدرسة وقبة المنصور قلاوون سوى جزء من العضاده اليمنى من كتلة المدخل لا يزال عليها جزء من النص الإنشائى للمدرسة .

يكتنف هذا الجزء من الجهة اليمنى فتحة باب حديثة مستطيلة يخلق عليها باب خشبى من مصراعين تؤدى إلى حجرة السبيل وهو من طراز الأسبلة ذات الشباكين إحداهما يطل على الواجهة الجنوبية الغربية والآخر يطل على الواجهة الشمالية الغربية بدلا من فتحة الباب الحديثة لهذه الغرفة .

السبيل ذو الشباكين :

تدل الشواهد المعمارية على أن هذه المدرسة كان يوجد بها حجره سبيل تحتوى على شباكين ،ولاتزال هذه الحجرة قائمه بالجهة الشمالية الغربية المطلة إلى شارع المعز ، يتوصل إليها من فتحة باب مستطيلة حديثة يغلق عليها باب خشبي من مصراعين ، ويعلوها عتب حجرى عليه زخرفة هندسية ،يعلوه عقد عاتق عليه زخرفة نباتية ،يحصران بينهما نفيس عليه نقش فهدين متقابلين ،تؤدى هذه الفتحة إلى غرفة السبيل وهى عبارة عن غرفة مستطيلة المساحة ،فرشت أرضيتها بأرضيه أسمنتية وان كان اصلها الأثرى من الرخام ،يغطى سقفها سقف خشبي حديث وان كان اصلها سقف خشبي مبرطم ، وكان يفتح على هذا الغرفة شباكين مستطيلتين أحدهما بالجهة الجنوبية الغربية لها والآخر بالجهة الشمالية الغربية مكان باب الدخول المؤدى إليها الان .

التخيل المعماري لما كانت عليه :

أفادت الدراسات الاثرية التى قام بها العالم كريزول ان هذه المدرسة كانت من كبريات مدارس عصرها بل يمكننى القول إنها كانت مساوية فى المساحة للمدرسة الصالحية المجاورة لها. وقد اعتمد العالم كريزول فى دراسته لهذه المدرسة على مصدرين أولهما هو ما ذكره المقريزى فى خططه عن هذه المدرسة .

وثانيهما :ممارسة الرحالة الذين زاروا هذه المدرسة فى القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى /الثانى عشر والثالث عشر الهجرى)حيث نقلوا برسوماتهما واجهات هذه المدرسة وما تحويه من زخارف وتفاصيل ومن أولئك الرحالة روبرت دافيد ومن خلال هذه الصور تظهر لنا واجهات المدرسة الخارجية على النحو التالى :

تتقدم المدرسه كتلة مدخل ضخمة متوجه من اعلاها بطاقيه مقرنصة مملوءة بالدلايات ،يعلو فتحة الباب مباشرة حامل خشبي كان مخصصا لحمل المشكاوات التى تضى ظاهرة المدرسة ،وقد قسمت الواجهة إلى تجاويف أو حنايا راسية تنتهى من أعلاها بصدور مقرنصة فى حين احتلت الشبايك المنطقة السفلية من الحنايا وهى يعلوها أعتاب معشقه مزخرفة

بزخارف تماثل الزخارف التى تعلو الشباكين الموجودين بالواجهة الجنوبية الغربية المتبقية .

وبأعلى الواجهات شرفات محمولة على كوابيل خشبية وعلى واجهاتها مشربيات من الخشب الخراط .

ويبدو كذلك أن ارتفاع المدرسة الظاهرية كان مساوى لارتفاع قبة المنصور قلاوون .

كما يظهر فى صوره للفنان دافيد رسم لاحد الأشخاص يهم بتناول شئ من الشباك المطل على شارع المعز وهو فى الغالب شباك سبيل كان مخصصا لارواء أو شرب المارة على الطريق ،يعلو شباك السبيل شرفة كتاب كانت مخصصة لتعليم أبناء المسلمين .

وكان الايوان الجنوبي الشرقى مخصصا لاصحاب المذهب الشافعى كان على جانبية عدد من خلاوى الطلبة وكان الايوان الشمالى الغربى البحرى مخصصا لاصحاب المذهب الحنفى وكان الايوان الجنوبي الغربى مخصصا لاحد مدرسى القراءات السبع وهذا الايوان متبقى منه أجزاء الآن سبق توصيفها .

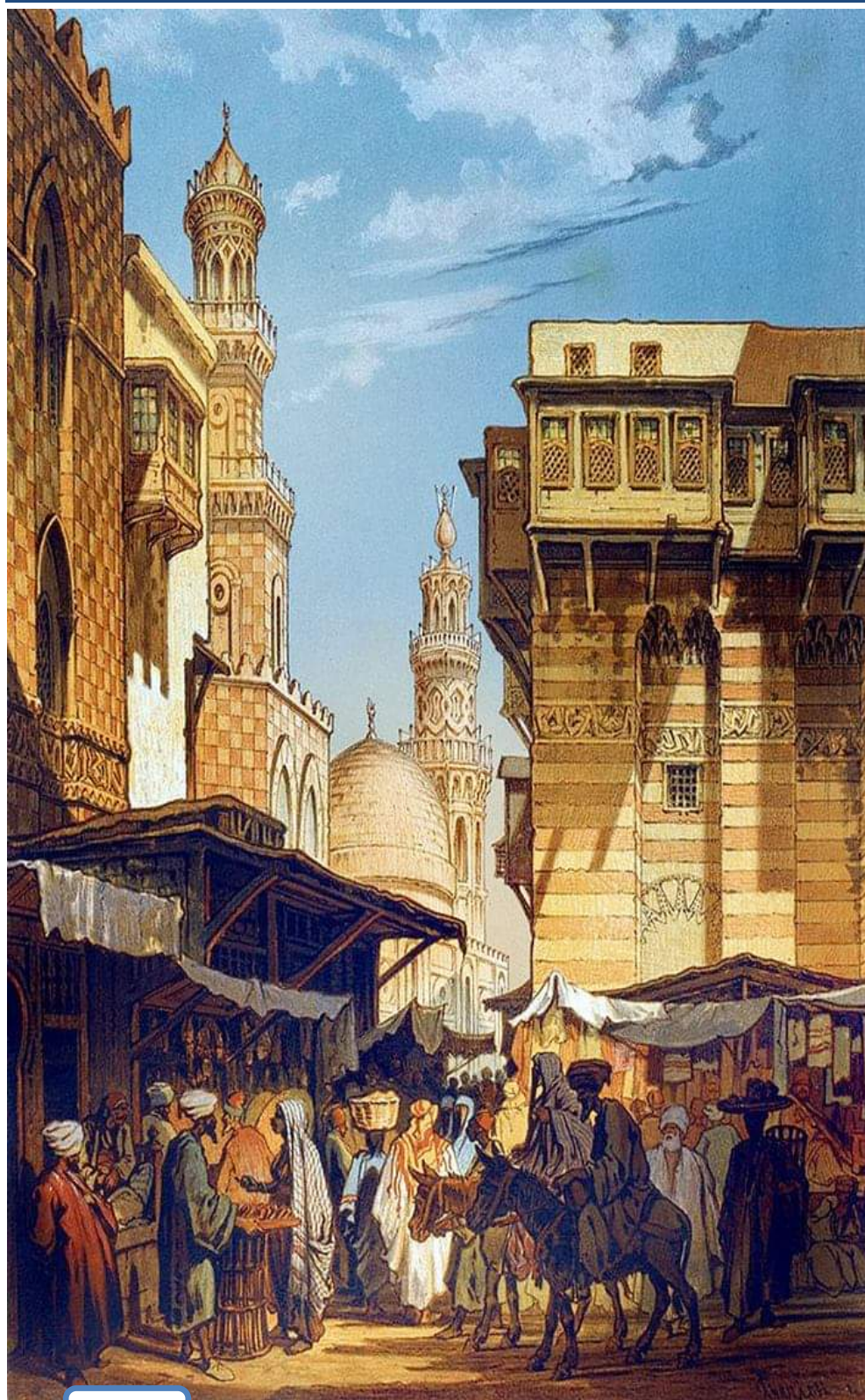
وكان الايوان الشمالى الشرقى مخصصا لتفسير الحديث النبوى الشريف وهذه الايوانات الأربع تحيط بصحن أوسط مكشوف يتوسطه فواره عدد من الخلاوى للطلبة ، وقد الحق بهذه المدرسة سبيل ذو شباكين يعلوه كتاب ، وكان لهذه المدرسة مئذنة وكلها سقطت فى سنة 1300هـ/1882م أما عن باب المدرسة فهو كان عبارة عن باب ضخمة مصفح بالبرونز لكنه انتزع من مكانة على يد الكونت سانت موريس سنة 1291 هـ/1874م) بعد ان هدمت أجزاء المدرسة ،ووضع هذا الباب فى السفارة الفرنسية بالجيزة ،وهذا الباب مكتوب عليه بالأرقام تاريخ (660 هـ) وهذا التاريخ جعل العالم فان برشم يشك فى اصليته لان الكتابة بالأرقام لم تظهر سوى فى العصر العثمانى اللهم إلا فى ضريح الأمير سنقر السعدى لسنة 715هـوبالكشف على هذا الباب تبين انه اصل وخاص بالمدرسة الظاهرية إلا إن إحدى تجار العاديات قام بحذف ثلاث كلمات من نص إنشائه

ووضع مكانه تاريخ إنشاء المدرسة وهو سنة 660 هـ لتزداد قيمة الباب المادية والأثرية، ويحتفظ متحف فكتوريا والبرت بلندن بمجموعه من البرونزية كانت من متعلقات هذا الباب إلا أنها انتزعت منه وتسربت إلى هذا المتحف .

الكتابات الأثرية: تتمثل الكتابات الأثرية المتبقية في بقايا المدرسة الظاهرية في عضادة المدخل اليمنى للمدخل الرئيسى وعليها شريط كتابي بالخط الثلث يتضمن نص إنشائي :

(امر بإنشاء هذه المدرسة السعيدة السلطان الأعظم الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين وذلك في شهور سنة ستين وستمائة)
(د / وائل جمال حسام الدين)







جامع السلطان الظاهر بيبرس :

يُعتبر من أقدم جوامع العصر المملوكي. شرع في بنائه الظاهر بيبرس البندقداري على مساحة تبلغ حوالي ثلاث أفدنة تقريباً (12.600 متر مربع)، وذلك في عام (665هـ/1266م)، وظلت الشعائر تقام فيه فترة طويلة.

يتكون الجامع من صحن أوسط يحيط به أربعة أروقة أكبرهم رواق القبلة. كان يغطي المنطقة التي تتقدم المحراب قبة بُنيت على غرار قبة الإمام الشافعي ولكنها سقطت. يضم الجامع ثلاثة مداخل، يعلوها النص التأسيسي للجامع.

شهد الجامع العديد من الأحداث والتغيرات على مر العصور التاريخية؛ تم تحويله أثناء الحملة الفرنسية (1798-1801م) إلى قلعة عسكرية حيث اتخذوها حصناً لهم ووضعوا المدافع أعلى الجدران وجعلوا من مئذنته برجاً إلى أن تهدمت. وفي عام 1812م نُقلت بعض من أعمدة الجامع إلى جامع الأزهر لبناء رواق الشراقة "طلاب إقليم الشرقية". كما حوله الاحتلال البريطاني إلى مخزن للمهمات الحربية ثم مذبحاً حتى عام 1915.

قامت لجنة حفظ الآثار العربية منذ عام 1918م بعمل بعض الإصلاحات والترميمات في رواق القبلة وأجزاء أخرى بالجامع. تعاون المجلس الأعلى للآثار مع دولة كازخستان لترميم الجامع؛ فبدأت أعمال الترميم عام 2007م حتى عام 2010م، ثم استكملت مرة أخرى عام 2018م، وتم الانتهاء منها عام 2022م. اشتملت تلك الأعمال على ترميم العناصر المعمارية والفنية وكذلك أعمال الأسقف الخشبية، فضلاً عن أعمال تدعيم الأساسات والأعمال الإنشائية، بالإضافة إلى تثبيت منسوب المياه الجوفية. كما تم ترميم الخندق الخارجي وتركيب الأرضيات الحجرية والرخامية.

بصحن وأروقة الجامع وتنسيق الموقع العام. وقد عُثِرَ أثناء أعمال الترميم
على صهريج أسفل صحن الجامع.

(موقع وزارة السياحة والآثار)







الفصل السادس عشر :

بيبرس وبلاد الجوار



بيبرس وبلاد الجوار :

و**ضم الظاهر بيبرس** بلاد اليمن التي كانت تحت حكم بني رسول فأضحت البلاد تحت الحكم المملوكي ، وارتبط **الظاهر** بعلاقاته وديه مع سلطان اليمن **المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر ابن علي ابن رسول** .

[سهيل طقوش- تاريخ المماليك 109]

وفي تونس كان ملوك بني حفص تلقبوا بلقب الخلفاء عندما تلقب **ابو عبد الله محمد الاول الحفصي** بلقب خليفة وتلقب بلقب **المستنصر بالله المنصور بفضل الله** امير المؤمنين **ابي عبد الله بن الامراء الراشدين** .

[القلقشندي-صبح الاعشى 123/5]

مما شجع الشريف **ابو نى ابن الحسن** على الاعتراف بسيادتهم على مكة . فلما اعاد **بيبرس** الخلافة في القاهرة حدث فتورا في العلاقات بين الطرفين ولكن عندما نزل الصليبيون إلى تونس ، ارسل **بيبرس** رسالة إلى ملك الحفصيين يخبره بعزمه على ارسال نجدة له على وجه السرعة للتصدي للغزاة ، ولكن سرعان ما فشلت حملة **لويس** فعادت العلاقات للفتور مجددا ، ثم انه في عام 1271م 670 هـ وصل رسول ملك الحفصيين إلى مصر ومعه كتاب باسلوب استعلائي مما اثار استياء السلطان ففرق الهدايا على الامراء ثم رد على رسالته برسالة تنتقد تقاعسه عن الجهاد قائلا : "ان مثلك لا يصلح ان يلي امور المسلمين" .

[سهيل طقوش - تاريخ المماليك 110]

الفصل السابع عشر :

بيبرس وولاية العهد



كان السلطان **الظاهر** قد سعى في حياته لتوريث السلطنة لابنه **الملك السعيد** ففي سنة 662 هجرية ركب **بيبرس** وابنه بشعار السلطنة في احتفال كبير حضره الامراء والقضاة والفقهاء وفي عام 673 هجرية ركب به مرة اخرى وزوج السلطان من ابنة الامير **سيف الدين قلاوون** لكي يضمن ولاءه بالشكل الذي يؤمن له عرش السلطنة .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 113]

وفي عام 667 هجرية جلس **الملك السعيد بركة** في مرتبة الملك وحضر الامراء فقبلوا الارض وحلفوا له وسائر العساكر . ركب **الملك السعيد** الموكب كما يركب والده وجلس في الايوان وقرئت عليه القصص ، وقرأ بالايوان تقليد بتفويض السلطنة اليه ، وكتب **السلطان الظاهر** إلى الامراء والنواب بمكاتبة **الملك السعيد** والاعتماد على اجوبته وهو في بلاد الشام ، ثم دخل مصر فرأى الأحوال كلها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور وقصد بما فعل ان يكشف حال مملكته ويعرف احوال ابنه فتم له ما اراد .

[المقريزي - السلوك 58/2]

فلما مات **السلطان** قدم الامراء إلى قلعة الجبل و**الملك السعيد** بالايوان فسلم اليه الامير **بيليك** الخزائن والعساكر ووقف بين يديه فصاح الحجاب حينئذ يا امراء ترحموا على **السلطان الملك الظاهر** . كان **السلطان** قد أوصى ولده فقال :

" انك صبي وهؤلاء الامراء الكبار يرونك بعين الصبي فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحققت ذلك فاضرب عنقه في وقته ولا تعتقله ولا تستشير احدا ، افعل ما امرتك به والا ضاعت مصلحتك " .

لم يكن من المنتظر ان يخلص الحكم بطريق الوراثة لابناء **الظاهر** وهكذا مضت الدولة على طريق الحكم العسكري القائم على القوة .

[قاسم عبده قاسم - عصر سلاطين المماليك 115]

ولكن **السعيد** كان شابا غرا طائشا لم يتجاوز التسعة عشر ربيعا عند اعتلائه العرش وكان منقادا لنفوذ والدته . لم يمضي على قبضه على

صولجان الملك بضعة اسابيع حتى سم وزير والده الاتابك وزج بغيره في غيابات السجون ثم اخذ ينقاد لأراء صغار مماليكه وكانت مدة حكمه خاليه من الحوادث العظيمة . وتسببت اخطائه الفادحة على الفور في اثاره عداء كبار الامراء.

[وليم موير - تاريخ دولة المماليك - 61]

اتخذ **الملك السعيد** سياسة ابعاد كبار الامراء وتقريب المماليك الاحداث الية حتى قوي نفوذهم فأصبح منقادا وراء ارائهم تارة ولنفوذ والدته تارة اخرى ، مما ادى إلى استياء الامراء الصالحية من ذلك وراحوا يطلقون يدهم في ادارة شؤون الدولة فلجأوا إلى والدته لتقنعه بالكف عن ذلك . ثم سرعان ما عظمت الصراعات الداخلية بين السلطان وكبار الامراء فعمد الملك السعيد إلى التخلص منهم فسجن بعضهم وابعد الاخر .

[سهيل طقوش - تاريخ المماليك 162]

فتوغرت بينهما الصدور ، ودبت بينهما عقارب الشرور ، وأعمل كل منهما مكره في أذية الآخر ، وأخذ **الملك السعيد** في اللهو واللعب والانبساط مع الخاصكية ، ورموا **الملك السعيد** بأنه قد أسرف وأفرط في سوء الرأي وأفسد التدبير .

وقالوا : **الملك لا ينبغي له أن يلعب ولا يلهو ، وإنما همه الملوك في العدل ومصالح المسلمين ، والذب عن حوزتهم كما كان أبوه .**

[المقريزي - السلوك]

كان **الظاهر بيبرس** ذو نيه في ان يحصر السلطنة في بيته فعمل على استمالته ، فزوج ابنه **الملك السعيد** من ابنة **قلاوون غازية خاتون** ظنا منه انه لن يقدم على انتزاع **السلطنة** من يد زوج ابنته .

[سهيل طقوش - دولة المماليك 169]

ولكن كانت بدايه الشقاق من **السعيد** نفسه فما اجمل معه الصحة ولا رعي له حق القربة وقطع ما بينهما بقله انصاف وعامله بما كان سببا في انحرافه .

[بيبرس المنصوري - زبدة الفكرة 171]

وفي نفس الوقت كانت اطماع الامير اقوى من رابطة المصاهرة وراح يعمل من وراء حجاب على ازاحة **السعيد** من الملك .

[سهيل طقوش - دولة المماليك 170]

اجتمع امرء الصالحيه وارسلوا إلى السلطان يحذرونه من عاقبة افعاله اذا لم يرتدع ويقولون : " انك قد افسدت الخواطر وتعرضت إلى الاكابر فاما ان ترجع عما انت عليه والا كان لنا شأن اخر " .

[العينى - عقد الجمان 187/2]

فلم يرتدع ، فمازالوا به حتى خلع نفسه وأرتضى أن ينفى في الكرك .
لما تم خلع **الملك السعيد** عرض الأمراء السلطنة على الأمير **سيف الدين قلاوون** فأمتنع وقال : أنا ما خلعت **الملك السعيد** طمعا في السلطنة ، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية **الملك الظاهر** . فمال الجميع إلى قوله واستدعوا **سلامش بن الملك الظاهر** وعمره سبع سنين واتفقوا أن يكون الأمير **قلاوون** أتابكه وإليه أمر العساكر وتدير الممالك ولقبوه **بالمملك العادل بدر الدين** .

كان **قلاوون** صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك فما زال حتى تمكن من المملك ثم جمع الأمراء معهم في صغر سنة ، وقال لهم : قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل .

اتفقوا على خلع **سلامش** فخلعوه ، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدة ملكه مائة يوم ، ولم يكن حظه من الملك سوى الاسم فقط ، وجميع الأمور إلى الأتابك **قلاوون** . فقال الامراء : "ان الرأي جلوس **قلاوون** في الدست استقلالا ليزداد الملك بهجه وجلالا " .

[بدر الدين العينى - عقد الجمان 225/2]

الفصل الثامن عشر :

موت السلطان



موت السلطان :

جلس **السلطان** لشرب **القمر**⁽⁵⁵⁾ وقد عظم سروره وفرحه وتناهب سعدة فأكثر من الشرب وانفض المجلس فتوَعك بدنه واصبح يشكو بطنه واستعمل دواء لم يكن عن رأي طبيب فزاد ألمه فاستدعى الأطباء فانكروا استعمال الدواء ثم مات فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً ومملكه سبعة عشر سنة وشهرين وواثني عشر يوم مات متجاوزاً الخمسين .

[المقريزي - السلوك 104/2]

لما مات **السلطان** كتم الأمير **بيليك الخازندار**⁽⁵⁶⁾ نائب السلطنة موته عن العساكر وحمله في محفة من **القصر الابلق** خارج **دمشق** إلى القلعة وجعله في تابوت واشاع انه مريض ثم خرج يريد **مصر** فلم يجسر احد ان يتفوه بموته .

استمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى **القاهرة** وصعدت الخزائن والمحفة إلى **القلعة الجبل** فاشيع حينئذ موته .

[المقريزي - السلوك 107/2]

وذكر ركن الدين **بيبرس المنصوري** المؤرخ أن القمر خسف جميع جرمه ، ودل على موت رجل جليل القدر ، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف ،

(55) شراب نبيذ من لبن الخيل

(56) الأمير بدر الدين، نائب السلطنة بالديار المصرية، ومقدم الجيوش بها. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي، رحمه الله: كان أميراً جليل المقدار، عالي الهمة، واسع الصدر، كثير البر والمعروف والصدقة، لين الكلمة، حسن المعاملة والنظر للفقراء، يتفقد أرباب البيوت، وعنده: ديانة، وفهم، وإدراك، وذكاء، ويقظة. سمع الحديث وطالع التواريخ. وكان يكتب خطأ حسناً، وله وقف بالجامع الأزهر على زاوية لمن يشتغل بمذهب الشافعي، وبها درس، وله أوقاف أخر على جهات البر.

وقصد صرف ذلك إلى غيره ، فسم الملك القاهر في كأس قمز ، وأحس الملك القاهر بالشر فقام ، وغلظ الساقى فملأ الكأس وسقاه **السلطان** ، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء ، حتى تمكن منه ومات . كانت وفاة الظاهر **بيبرس** في **السابع والعشرين من المحرم** بالقصر الأبلق بدمشق فحضر نائب السلطنة **عز الدين أيدير** وكبار الأمراء ، فصلوا عليه سرا ، وجعلوه في تابوت في بيت من بيوت البحرية وكنتم موته ، فلم يعلم جمهور الناس به ، إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته . وكان **الظاهر بيبرس** قد بايع أبنه **السعيد** في حياته فقام في **الملك** من بعده ولم يكمل العشرين من عمره بعد .

وكانت العساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ، ومعهم محفة يظهرون أن **السلطان** فيها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجددوا البيعة **للسعيد** بعدما أظهروا موت الملك السعيد الذي هو إن شاء الله شهيد .

[ابن كثير - البداية والنهاية 536/13]

فلما وصلوا قلعة الجبل جلس **الملك السعيد** بالإيوان ، وسلم إليه **الأمير بيليك** الخزائن والعساكر ووقف بين يديه ، فصاح الحجاب حينئذ : يا أمراء ترحموا على **السلطان الملك الظاهر** . فارتفع الضجيج والعيول .

[المقرئزي - السلوك]

خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية **للكملك السعيد** ، وصلى على والده **الملك الظاهر** ، واستهلت عيناه بالدموع .

[ابن كثير - البداية والنهاية]

536/13

عمل عزاء **الملك الظاهر** ، عند تمام سنة من وفاته ، بالأندلس من قرافة مصر ، ومدت هناك الأسمطة في الخيام للقراء والفقهاء ، وفرقت الأطعمة على أهل الزوايا ، وكان من



الأرقات العظيمة ، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعمل مجمع آخر بجامع ابن طولون ، وفي الجامع الظاهري ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة الصالحية، ودار الحديث الكاملية ، والخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ، والجامع الحاكمي وعمل للفقراء صوان حضره كثير من أهل الخير .





هكذا جاءت نهاية بطل من
ابطال الإسلام وتاريخ
المسلمين ، كان ملء العين
والقلب احبه الناس ولهجوا
بسيرته و اضافوا اليها الكثير
من خيالهم لانه كان يسير
على طريق تحقيق امانى الأمة
ومحاربة اعدائها .

[قاسم عبده قاسم]



الفصل التاسع عشر :
أيام خالدة
في تاريخ الملك الظاهر



أيام خالدة في تاريخ الملك الظاهر :

سنة ثمان وخمسين وستمائة :

ذي القعدة : تسلم القلعة وكانت القاهرة قد زينت لقدم الملك المظفر قطز ، والناس في فرح ومسرات بقتل التتر . فلما طلع النهار نادى المنادي في الناس : ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس .

وفيها : ثار جماعة ، وشقوا القاهرة وهم ينادون يآل علي ، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح ، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكوراني ، أظهر الزهد بيده سبحة وسكن قبة بالجبل

سنة تسع وخمسين وستمائة :

وفيها : اجتمع من التتار ستة آلاف فارس ، وقاموا بحمص . فبرز إليهم الملك الأشرف موسى صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة ، فأفنوهم قتلاً وأسراً ، ووردت البشارة إلى مصر بذلك .

وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس لعمارة الحرم النبوي بالمدينة ، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس ، وكانت هوت .

وفيها : رسم بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة ، فرم ما فسد منها وأعاد لها حرمتها ، وفرق أبراجها على الأمراء : وهم الأمير قلاوون ، والأمير عز الدين الحلي والأمير بيسري ، وغيرهم - لكل أمير منهم برج ، وأمرهم أن تكون اصطبلاتهم وبيوتهم فيها ، وسلمهم مفاتيح القلعة .

وفيها : سار الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيئ بالله العباسي يريد دمشق ، وكان قد فر من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله ، فوردت مكاتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري نائب دمشق : بأنه ورد رجل ادعى أنه عم المستعصم وأخو المستنصر-

فكتب السلطان إلى النواب بالقيام في خدمته وتعظيم حرمة ، وأن يسير إلى جهة مصر .

سنة ستين وستمائة .

ربيع الأول : وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب بالحاكم بأمر الله إلى مصر ، فاحتفل السلطان للقاءه ، وأنزله في البرج الكبير داخل قلعة الجبل

رمضان : أعاد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها . وكان متشدداً في أحكامه ، فرسم له في ذي القعدة أن يستنيب عنه مدرسي المدرسة الصالحة من الحنفية والمالكية والحنابلة ، فاستنابهم في الحكم عنه ، ولم يعرف ذلك عصر- قبل هذا الوقت .

وفيها : توفي شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن اثنتين وستين سنة

سنة إحدى وستين وستمائة .

ذي القعدة : جلس السلطان بدار العدل ، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي الفرنجيات .

سنة اثنتين وستين وستمائة .

المحرم : نودي بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامه ولا تتزيا بزي الرجال ، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة

صفر : اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها ، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم وجعل السلطان بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة ، وبني بجانبها مكتبا للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصل الشتاء والصيف

وفيه جري السلطان على عادته في إجراء الصدقات لمطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء ، فكان يصرف في كل ليلة من ليالي رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ ، وجري أيضاً على عادته في عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين ، سوي من أعتقه من مماليكه .

وفيهما توفي الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القباري بالإسكندرية .

سنة ثالث وستين وستمائة .

جمادى الأولى أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب وسار الي قيسارية فوافاها على حين غفلة من أهلها ،

جمادى الأولى : سلم الفرنج القلعة . فتسلق المسلمون من الأسوار ، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها ، وأذن بالصبح عليها .

وفيه : سار السلطان إلى عثليث ، وسير الأمير سنقر السلاح دار ، والأمير عز الدين الحموي ، والأمير سنقر الألفي إلى حيفا . فوصلوا إليها ، ففر الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها ، فدخلها الأمراء .

جمادى الآخرة : نزل على أرسوف ، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر ، وحفر سردابين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقفه بالأخشاب

رجب : فتحها الله في ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة . فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطلعوا القلعة .

وفي شعبان : وعك السلطان فتداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا

سنة أربع وستين وستمائة .

وفي جمادى الأولى : قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى ، قد افتكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق . فحضر عدة من النساء والأطفال ، فسيرت النساء إلى دمشق ليزوجهن القاضي من أكفأهن .

وفي رجب : اهتم السلطان بأمر الغزو ، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم ، فتأخروا . فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال ، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا ، لكونهم ما سارعوا إلى إحضارهم .

في شعبان : سار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص ، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد ، وأخذوا قلعة عرقة وحلباء والقليعات وهدموها . فأغارت العساكر على الفرنج من كل جهة ، وكثرت المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف . ونزل عسكر السلطان على صور ، وأقام السلطان في جهة عكا ، والأمير ناصر الدين القيمري في عثليث ، فاهتم السلطان بأمر صفد ، وأحضر العساكر المجردة ، ورحل الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد ، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة ، وحاصروها .

رمضان : نزل على صفد وحاصرها ، فقدم عليه رسول متملك صور ورسول الفداوية ، ورسول صاحب بيروت ورسول صاحب يافا ، ورسول صاحب صهيون .

وفي ذي القعدة استولي السلطان على هونين وتبنين وعلى مدينة الرملة ، وفيها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات ، فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة ، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأفردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم ، فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة . وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر ، وأراق الخمرور وعفي آثار المنكرات ، ومنع الحانات والخواطىء بجميع أقطار مملكته . بمصر والشام .

سنة خمس وستين وستمائة .

ربيع الأول : بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب ، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا ، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية .

وفيه : أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة ، وكانت قد بطلت منه منذ ولي قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدير الحلي بجواره ، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة

، وتبرع له بمال جزيل ، واستطلق له من السلطان مالا ، وعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وبلطه ورم سقوفه ، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبرا

سنة ست وستين وستمائة .

وفيها : سار السلطان من العوجاء إلى يافا ، وحاصرها حتى ملكها من يومه في شهر رجب : جهز السلطان عسكرا إلى الشقيف ، ثم سار إليها بنفسه فنزل عليها وقدم الفقهاء للجهاد ، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا ، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب.

رمضان : السلطان مغير على أنطاكية فلم يرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف ، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد ، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوي النساء والأولاد ، فبعثوا يطلبون الأمان فأمنوا ، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال ، فكتفوا وفرقوا على الأمراء ، والكتاب بين يدي السلطان ينزلون الأسماء .

وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون ، فطلب أهلها الأمان ، فتوجه إليهم الأمير بيليك الأشرفي وتسلمها ، وأسر من فيها

وفيه : تسلم الأمير آقسنقر الفارقاني حصن بغراس من الفرنج الداويه وكانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوي عجوز واحد ، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر .

سنة سبع وستين وستمائة .

وفيها : كتب السلطان بإزالة الخمر وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فظهرت كلها من المنكر ، ونهبت الحانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها ، وسلبت جميع أحوال المفسدت وحبس حتى يتزوجن.

وفيه : تسلم نواب السلطان بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون ، وهي حصن عظيم .

شوال : السلطان على عزم على الحركة إلى الحجاز .

سنة ثمان وستين وستمائة .

جمادى الآخرة : ركب السلطان بمائتي فارس من غير سلاح ، وأغار على حصن الأكراد وصعد الجبل الذي عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا ، فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين ، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة ، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم ، وقال يستخف بهم : خلوا الفرنج يخرجوا ، فما نحن أكثر من أربعين فارسا ، وعاد إلى مخيمه ، ورعى الخيول مروجها وزروعها .

في شوال : تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة

سنة تسع وستين وستمائة .

في المحرم : ورد كتاب نوغاي قريب الملك بركة ملك التتار ، وهو أكبر مقدمي جيوشه ، يخبر فيه أنه دخل في دين الإسلام ،

وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسييس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها ، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج ، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمشير إلى نجدته ، وأمرهم بحفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ، وشرع في تجريد العساكر ، فورد الخبر . بموت الفرنسييس وابنه وجماعة من عسكره ، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار ، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر .

وفي صفر : توجه السلطان إلى عسقلان ليهدم ما بقي منها خوفا من مجيء الفرنج إليها ، فنزل عليها وهدم بنفسه ما تأخر حتى سوى بها الأرض

وفي عاشر جمادى الآخرة : واتصلت الغارات إلى صافيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها ، وعدتهم سبعمائة رجل سوي النساء والأطفال ، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره .

وفي رجب : نازل السلطان حصن الأكراد ، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون ، وصاحب دعوة الإسماعيلية صاحب نجم الدين .
وفيه : نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن ، إلى أن أخذ القلعة
وفي رمضان : نازل السلطان حصن عكار ونصب عليه المجانيق .
وفيه : كتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره .
شوال : استولي السلطان على حصن العليقة من حصون الإسماعيلية
في ذي القعدة ، نزل القرين وساق إليه ونازله حتى أخذه
سنة سبعين وستمئة .
وفيها : قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية ، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر ، واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخواني .
وفي ربيع الأول : ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخرة ، من غير أن يعلم أحد قصده ، وسار على طريق حلب ، ثم عرج من شيزر وأصبح على حمص ، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمورهما ، وسار إلى دمشق ، وكتب إلى مصر كتابا يقول فيه لأكابر الأمراء : ولدكم - ولبقيتهم أخوكم - ووالدكم يسلم عليكم ويتشوق إليكم ، وإيثاره ألا يفارقكم . وإنا قدمنا راحتكم على راحتنا ، . فطالما تعبوا واسترحنا ونعلمهم بالمتجددات ليكونوا لا كالمشاهدين وكمشاركينا في أكثر المجاهدين : فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العربان ، وقد ورد الخبر بحركة التتار ، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد . وأما الفرنج فعملوا سلام من حديد ، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت ، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يدل على التمكين تارة بالسيف وتارة بالسكين ، أن صاحب مرقية الذي أخذنا بلاده توجه إلى التتار مستصرخا ، وسيرنا وراءه فداوية ، وقد وصل أحدهم وذكر إنهم قد قفزوا عليه وقتلوه وأنا والله لا أبيت إلا وخيلي مشدودة ، وأنا لأبس قماشي حتى المهماز .

وفي رجب : كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده ، فاقتدي به جميع الأمراء والخواص ، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل . وعمل السلطان جملة نشاب بيده ، نحتها وریشها ونصلها .

سنة إحدى وسبعين وستمائة .

جمادى الأولى : ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها وإنهم قد حفظوا محاوز الفرات ونزلوا عليها ، ليعوقوا من يصل إليهم . فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصي بعدة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم ، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الرزبري في جماعة ، ورحل هو من ظاهر دمشق في ثامن عشر جمادى الأولى ، ومعه مراكب مفصلة محمولة . وجد للسلطان في المسير حتى وصل إلى الفرات ، فوجد التتار على الشط ، فألقى المراكب التي حملها معه في الفرات وأشحنها بالمقاتلة . واقتحم الأمير قلاوون الألفي الصالحي الفرات ، فخاض ومعه عدة وافرة ، وصد التتار صدمة فرقهم بها ومزقهم ، فألقت الأطلاب أنفسها في الفرات ، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس ، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم ورماحهم ، وعليهم وعلى خيولهم الحديد ، وازدحموا في الماء ، فكان لقعقة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان في أولهم ، وصلي في منزلة العدو ركعتين شكراً لله تعالى ، وبث العساكر يمينا وشمالا ، فقتلوا وأسروا عدداً كثيراً .

وفي عشري ذي الحجة : استولي السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية : وهي الدينقة والقدموس والكهف ، وأقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها ، وعفيت المنكرات منها ، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره .

وفيها : استولي السلطان على عامة مدن برقة وحصونها .

وفيها : تنجزت عمارة صخرة بيت المقدس .

[سنة اثنتين وسبعين وستمائة .]

وفي المحرم : وردت الأخبار بحركة الملك أبغا ، فخرج السلطان من قلعة الجبل ، ومعه الأمير سنقر الأشقر ، والأمير بيسري ، والأمير أنامش السعدي . فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر ، صحبه الأمير بيليك الخازندار ، ورسم بأن كل من في سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة ، وأن تخرج كل قرية من قري الشام رجاله يركبون الخيل على قدر حالهم ، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه ، ودخل السلطان إلى دمشق.

سنة أربع وسبعين وستمائة .

وفيها : اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل ، وعقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفي ،

سنة خمس وسبعين وستمائة .

ربيع الأول : ورسم بتجهيز مهمات العرض ، فأخذ الناس في التجهيز ، وغلت الخيول والأسلحة ، وعدم صناع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء ، وعز وجود صناع النشاب ومقومي الرماح .

وفيه : رحل السلطان يريد قيسارية الروم ، فاستولي في طريقه على عدة بلاد.

وفيه : تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال ، واحتف به الفقراء الصوفية ، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل ، وأقبل الروم من كل جهة ، وضربت نوبة آل سلجوق على عاداتها ، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم ، فنهوا عن الضرب بالآلات وعن الغناء ، وقيل لهم : هذه الهيئة لا تتفق عندنا ، وما هذا موضع الغناء ، بل موضع الشكر .

سنة ست وسبعين وستمائة .

يوم الخميس سابع عشري المحرم بعد الزوال وفاة السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري .

انظر ترجمة (السلطان بيبرس) في:

1. المقتفي للبرزالي ١ / ورقة ٦٥ أ
2. زبدة الفكرة ٩ / ورقة ٨٦ ب - ٨٨ أ
3. الحوادث الجامعة ١٨٨
4. التحفة المملوكية ٨٦
5. تالي وفيات الأعيان ٤٩ - ٥١ رقم ٧٩
6. تاريخ الملك الظاهر ٢٢٢ وما بعدها
7. ذيل مرآة الزمان ٣ / ٢٤٥ وما بعدها
8. النهج السديد، ورقة ٦٠ ب، وما بعدها
9. الروض الزاهر ٤٧٢ وما بعدها
10. تاريخ ابن الفرات ٧ / ٨٧ وما بعدها
11. تاريخ مختصر الدول ٢٨٨
12. تاريخ الزمان ٣٣٦، ٣٣٧
13. المختصر في أخبار البشر ٤ / ١٠، ١١
14. النور اللائح لابن القيسراني ٥٦
15. نهاية الأرب ٣٠ / ٣٦٥ - ٣٦٨،
16. الدرّة الزكية ٢٠٨ - ٢١٨
17. دول الإسلام ٢ / ١٧٧
18. العبر ٥ / ٣٠٧
19. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٢
20. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٧، ٣٦٨
21. المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٩٣، ٢٩٤
22. الحوادث الجامعة ٣٩٢، ٣٩٤

23. تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٢٤، ٢٢٥.
 24. البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٤ - ٢٧٦
 25. فوات الوفيات ١ / ٢٣٥ - ٢٤٧
 26. عيون التواريخ ٢١ / ١٣٢ و ١٣٥ - ١٤٥
 27. مرآة الجنان ٤ / ١٧٥
 28. الوافي بالوفيات ١٠ / ٣٢٩ - ٣٤٨ رقم ٤٨٤١
 29. درّة الأسلاك ١ / ورقة ٥١، ٥٢
 30. تاريخ ابن خلدون ٥ / ٢٩٣
 31. مآثر الإنافة ٢ / ١٠٦، ١٠٧
 32. السلوك ج ١ ق ٢ / ٦٣٥ - ٦٤١
 33. عقد الجمان (٢) ١٧٤ - ١٨٤
 34. المنهل الصافي ٣ / ٤٤٧ رقم ٧١٧
 35. النجوم الزاهرة ٧ / ٩٤ وما بعدها
 36. تاريخ ابن سباط ١ / ٤٤٦ - ٤٥٥
 37. تاريخ ابن الفرات ٧ / ٨١
 38. حسن المحاضرة ٢ / ٩٥
 39. شذرات الذهب ٥ / ٣٥٠
 40. بدائع لزهور ج ١ ق ١ / ٣٣٨ - ٣٤٢
 41. أخبار الدول ١٩٨، ١٩٩
 42. الجواهر الثمين ٢ / ٧٩ - ٨٤
 43. تاريخ الدولة التركية، ورقة ١٢
 44. نزهة المالك والمملوك، ورقة ٦٣ أ
- (عبد السلام تدمري في تعليقاته على تاريخ الاسلام)

قائمة المصادر والمراجع :

- (1) ابن الاثير – الكامل في التاريخ
- (2) ابن الوردي – تاريخ ابن الوردي
- (3) ابن اياس – بدائع الزهور
- (4) ابن ابيك – الدرّة الزكية
- (5) أبّن ابيك كنز الدرر
- (6) ابن أبيك الدوادر – التحفة الملوكية
- (7) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة
- (8) ابن خلدون – تاريخ ابن خلدون
- (9) ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر
- (10) ابن كثير – البداية والنهاية
- (11) ابن منظور لسان العرب
- (12) ابن واصل – مفرج القلوب
- (13) الباز العريني – المغول
- (14) بدر الدين العيني – عقد الجمان
- (15) بيبرس الدوادر – زبدة الفكرة
- (16) عبد العزيز رمضان بيزنطة والحروب الصليبية
- (17) محمد مؤنس عوض تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام
- (18) ابن شافع – تذكرة النبوة في ايام المنصور وبنيه
- (19) جمال الدين سرور – دولة الظاهر بيبرس
- (20) جيمس واترسون فرسان الإسلام
- (21) سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية في العصور الوسطى
- (22) جوستاف فون حضاره الإسلام
- (23) الخزرجي – العقود اللؤلؤية
- (24) الذهبي – العبر في اخبار من غبر
- (25) الذهبي – تاريخ الإسلام
- (26) الذهبي سير أعلام النبلاء
- (27) رانسيمان – تاريخ الحروب الصليبية
- (28) ستان لين بول – سيرة القاهرة
- (29) سجي التميمي – المرأة في العصر المملوكي
- (30) سعيد عاشور – الايوبيين والمماليك
- (31) سعيد عاشور – العصر المماليكي
- (32) سهيل طقوش – تاريخ المماليك
- (33) السيوطي – تاريخ الخلفاء

- (34) السيوطي حسن المحاضرة
(35) الشرق الإسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين
(36) الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي حافظ احمد حمدي
(37) الصفدي فوات الاعيان
(38) الصفدي فوات الوفيات
(39) الصلابي - عين جالوت
(40) العبادي قيام دولة المماليك الاولى
(41) العبادي الاداب السلطانية
(42) عبد العزيز توفيق مقدمة حضاره الإسلام
(43) عبد الله عطية معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك
(44) عبد المنعم ماجد الدولة الأيوبية
(45) العصر المملوكي مفيد الزيدي
(46) قاسم عبدة قاسم عصر سلاطين المماليك
(47) قاسم عبده قاسم قطز
(48) القلقشندي صبح الأعشى
(49) القلقشندي - مآثر الاناقة
(50) الماوردي - الاحكام السلطانية
(51) محمد حمزة المنصور قلاوون
(52) محمد سعيد العريان - شجر الدر
(53) المسعودي مروج الذهب
(54) المقرئزي الخطط
(55) المقرئزي السلوك
(56) نور الدين خليل - المماليك المفترى عليهم
(57) النويري نهاية الأرب
(58) هاني فخري النظام العسكري
(59) وليم موير تاريخ دولة المماليك

فهرس المحتويات :

42	الظاهر بيبرس وتوران شاه ابن الصالح أيوب
47	خروج بيبرس من مصر بعد مقتل أقطاي
57	بيبرس وبطولته في عين جالوت
76	بيبرس ومقتل المظفر قطز
81	بيبرس سلطانا
86	دين السلطان
92	بيبرس والمعاهدات الدبلوماسية
96	بيبرس والزعامة الدينية
106	بيبرس وتكوين الجيوش
111	بيبرس والامارات الصليبية
153	بيبرس وبلاد النوبة
157	بيبرس والمغول
165	بيبرس وعمارة المدائن
183	بيبرس وبلاد الجوار
185	بيبرس وولاية العهد
189	موت السلطان
195	أيام خالدة في تاريخ الملك الظاهر
207	قائمة المصادر والمراجع